الباب الثاني

منهجه في التفسير

- الفصل الأول : الجانب اللغوي في تفسيره.
- الفصل الثاني : الجانب النقلي في تفسيره .
- الفصل الثالث : الجانب الفقهي في تفسيره .
- الفصل الرابع : الجانب الكلامي في تفسيره .
- الفصل الخامس : الجانب الأدبي في تفسيره.

التمهيد

كشفت لنا الدراسة الحالة السياسية والدينية والثقافية في العصر الفاطمي الذي عاش فيه الحوفي ،كيف نشط دعاة الفرق والنحل ، وعظم أمر الشيعة ،كيف انقسمت الخلافة العباسية وتفرقت إلى دويلات فتصدعت وحدة الخلافة وتعددت حواضر الثقافة وازدهرت فيها العلوم والآداب ، كيف تكونت ثقافته بما استلهمه من التراث السابق عليه والذي بينا جانباً منه في الفصول السابقة الذي ينص عليه صراحة في مقدمة الجزء الأول من تفسيره يقول : وإن كان ذلك شيئا قد سبق إليه المتقدمون فإني جمعت ما فرقوا واختصرت ما كثروا والله الموفق للصواب وهو حسبي ونعم الوكيل (١).

وبداية فإن الشخصية العلمية كل لا يتجزأ فيها من الفطرة وفيها من الاكتساب إن علما وثقافة أو تجربة وأحداثا ، وهي على كل حال تكوين معقد أشد تعقيد مركب أيما تركيب هذا شأن الشخصية العلمية في ذات نفسها فكيف بالأمر إن حاولنا أن تتضح أمامنا صورة منها في مرآة عمل علمي أن المهمة أشق وأدق ، ونحن إذ نعالج الشخصية العلمية من مؤلف لها علمي فلن نستطيع أن نجزئ المركب فنقول هذا الجزء منها أدبي وذاك علمي وثالث ديني وهكذا لأنها ككل ذات عناصر ممتزجة مختلطة ولكنا نفترض أن الشخصية العلمية التي تعالجها أشبه بالوجه يسلط عليه ريشة الرسام فمرة تبرز عينية أدق إبراز ومرة تبرز أنفه وثالثة شاربية وهكذا تنتقل بين أجزاء الوجه لا تغادر سمة من سماته أو خصيصة من خصائصه وأجزاء الوجه المصور تعد مجموعة من الوجه كله (٢) من هذا المنطلق ولكي نبرز الجوانب المتعددة لشخصية الحوفي لابد من إبراز كل جانب

١- الحوفي : البرهان ١/١

٢- د .مصطفي الصاوي الجويني : منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه .٩٢

علي حده ، فالجانب الأول كعالم لغوي و الجانب الثاني كعالم بالقراءات و الجانب الثالث كنحوي ، و الجانب الرابع كمفسر نقلي و الجانب الخامس كفقيه و الجانب السادس كمتكلم ، و الجانب السابع كأديب ذي نزعة بلاغية.

هذه الجوانب كلها مضمومة إلى بعض ممتزجة بعضها مع بعض هي شخصية الحوفي العلمية كما بينه تفسيره لنا و كما قرر هو بنفسه في عنوان تفسيره إذ يقول البرهان في علوم القرآن من الغريب و الإعراب و الأحكام و التفسير و الناسخ و المنسوخ و عدد الآي و التنزيل و الوقف و التمام و الاشتقاق و التصريف (١).

و لعلنا نتساءل هل التزم الحوفي بما قرره في عنوان تفسيره البرهان ؟ الجواب أن المطلع على تفسيره يراه قد التزم بهذا المنهج على مدى تفسيره ، فهو ملتزم بتناول الآية القرآنية حسب ترتيب المصحف، بادئا بقوله في الإعراب ثم القول في القراءة ثم المعنى و التفسير، ثم ما تضمنته الآية من الأحكام الفقهية و المسائل الكلامية و أسباب النزول والناسخ و المنسوخ و الوقف و التمام مبينا الغريب و الاشتقاق و التصريف.

هذا المنهج التزم به على مدى آيات القرآن حسب ترتيب المصحف و حسب ترتيب تلك الجوانب، و هو بهذا الصنيع المتميز هدف إلى إظهار ما أنطوى عليه النص القرآني من غرائب التراكيب، و تباين الطرق التي تنتزع بواسطتها المعاني ، ومعرفة ألفاظ القرآن و فهم معانيه، و إدراك أغراضه و أبعاده. و معرفة كل ذلك لا تتم إلا إذا كان المفسر على دراية تامة باللغة و الإعراب و الاشتقاق و التصريف، جامعا بين المعقول و المنقول، لذلك يقول الزمخشري: أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين

١- هذا القول هو عنوان تفسير الوفي المسمى البرهان في علوم القرآن و هذا العنوان بهذا القول مثبت في جميع أجزاء المخطوط الموجود بدار الكتب و المثبت بالبحث شكل رقم (١)

تحقيق و حفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات ، قد رَجَعَ زمانا وَ رُجعَ إليه و رَدَّ و رُدَّ عليه فارسا في علم الإعراب (١) .

و يقول ابن مجاهد: فمن حملة القرآن المُعرِب العالم بوجوه الإعراب و القراءات العارف باللغات و معاني الكلام البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين (٢) .

يقول الزركشي: الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية و أول ما يجب البداءة به تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه، و هو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه. قالوا: ليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع و غيره، و هوكما قالوا: أن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود ...، فنقول النظر في التفسير هو بحسب ألفاظ تراكيبها.

أما بحسب الأفراد فمن ثلاث وجوه :

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة و من جهة الهيئات و الصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، و هو من علم التصريف. ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها و هو من علم الاشتقاق.

و أما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التركيب بحسب الإعراب و مقابلة من حيث أن مؤدية أصل المعنى وما دل عليه المركب بحسب الوضع و ذلك متعلق بعلم النحو.

١- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ١٧/١.

٢ - أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات ٤٥.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعني، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء و هو الذي يتكفل بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة و حقائقها ومراتبها و باعتبار الحقيقة و المجاز و الاستعارة و الكناية و التشبيه؛ و هو ما يتعلق بعلم البيان.

الرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية و المعنوية و الاستحسان و مقابله، و هو يتعلق بعلم البديع [1] و لقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن دون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور فقط ، أن يكون ملما بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيرا عقليا مقبولا، و جعل هذه العلوم بمناسبة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، و تحميه من القول على الله بدون علم، و إليك هذه العلوم مفصله مع توضيح ما لكل علم منها من الأثر في الفهم و إصابة وجه الصواب [2].

الأول: علم اللغة: لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب، ثم أنه لابد من التوسع و التبحر في ذلك، لأن اليسير لا يكفي، إذ ربما كان اللفظ مشتركا، و المفسر يعلم أحد المعنيين و يخفى عليه الآخر، و قد يكون هو المراد.

---

١ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٧٣/٢ – ١٧٤ .

٢ - د. محمد حسين الذهبي : التفسير و المفسرون ٢٦٥/١- ٢٦٦ و هذا القول مستفاد من قول السيوطي في الإتقان، فبعد أن بين العلوم الواجب توافرها في المفسر قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه، و إذا فصل مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه . " راجع الإتقان ٢٣٢/١.".

الثاني: علم النحو: لأن المعني يتغير و يختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره.

الثالث: علم التصريف: و بواسطته تعرف الأبنية و الصيغ قال ابن فارس و من فاته علمه فاته المعظم؛ لأن " وَجَدَ" مثلا كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها(١)

و حكي السيوطي عن الزمخشري أنه قال: " من بدع التفاسير قول من قال : إن الإمام في قوله تعالى﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ (٢) جمع أم و أن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، و قال و هذا غلط أوجبه جهله بالتصريف ، فإن أماً لا تجمع على إمام .

الرابع: الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافها كالمسيح مثلا، هل هو من السياحة أو من المسح (٣).

الخامس و السادس و السابع: علوم البلاغة الثلاثة: " المعاني، البيان، البديع" فعلم المعاني يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها للمعنى. و علم البيان يعرف به خواص التركيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفاؤها وعلم البديع يعرف به وجه تحسين الكلام .

و هذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسر و لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز و ذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم.

---

١ - " وَجَدَ" يقول الزركشي: وَجَدَ كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت فقلنا في المال " وُجْدًا ". و في الضالة "وِجْدَانًا"، و في الغضب " مَوْجِدة "، و في الحزن " وَجْدًا " " البرهان ٢٩٧/١".
و جاء في اللسان : " " وَجَدَ" : يقال : وَجَدَت" في المال وَجْدًا ووُجْدًا ووِجْدانًا وَجِدةً ، أي صرت ذا مال وَوَجَدْتُ الضالة وِجْدَانا ، و الوُجْد و الوَجْد و الوِجْد : اليَسَارُ و السَّعَةُ ، و الواجِدُ : الغني .

٢- سورة الإسراء آيه ٧١ .

٣ - المسيح جاء في اشتقاقه أقوال هل هو مشتق من السياحة أو من المسح ؟ جاء في لسان العرب مادة "مَسَحَ " : الصِّدِّيقُ و به سمي عيسى عليه السلام ، قال الأزهري : روي عن ابن الهيثم أن المسيح الصديق .... و قال الكسائي: قد درس من كلام العرب كثير . قال ابن سيدة و المسيح عيسى ابن مريم صلى الله على نبينا و عليهما ، قيل سمي بذلك لصدقه .. و قيل سمي به لأنه كان سائحا في الأرض لا يستقر و قيل سمي بذلك لأنه كان يمسح بيديه على العليل ، و الأكمه و الأبرص فيبرؤه بإذن الله.
راجع لسان العرب مادة (مسح)

الثامن: علم القراءات: إذ بمعرفة القراءات يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: علم أصول الدين و هو علم الكلام و به يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى و ما يجوز و ما يستحيل.

العاشر: علم أصول الفقه: إذ به يستنبط الأحكام من الآيات و يستدل عليها.

الحادي عشر: علم أسباب النزول: إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.

الثاني عشر: علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلا يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

الثالث عشر: علم الناسخ و المنسوخ: و به يعلم المحكم من غيره، و في فقد هذه الناحية ربما أفتى بحكم المنسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل و المبهم ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

الخامس عشر: علم الموهبة: و هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، و إليه الإشارة بقول تعالى﴿... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللهَ...﴾ (١).

و لقد أجمع العلماء على أن أحسن طرق التفسير:

أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصّل موضع آخر، و ما اختصر في مكان فقد بسط في آخر، فان أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن و موضحة له.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

١ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٢٣١/٢ – ٢٣٢ ، الذهبي : التفسير و المفسرون ٢٦٥/١- ٢٦٨

٢ - سورة النحل آية ٦٤.

و لهذا قال صلي الله عليه وسلم :" ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"، بعني السنة فإن لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن، و لما أعطاهم الله من الفهم العجيب، فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر و الاستنباط بالشرط السابق(١)

و النظر و الاستنباط لا يكون إلا: بالأخذ بمطلق اللغة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، و لكن على المفسر أن يحترز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، و لا توجد غالبا إلا في الشعر و نحوه، و يكون المتبادر خلافها، و روي البيهقي في الشعب عن مالك رضي الله عنه أنه قال:" لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا "، و بالتفسير بالمقتضى من معنى الكلام و المقتضب من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال:" اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل"(٢).

و على ما قرره العلماء و اتفقوا عليه من الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى لتفسير كلام الله عز وجل و على ما سوف تكشفه لنا الدراسة نقول وباطمئنان أن الحوفي التزم هذا المنهج في تفسيره، فجاء تفسيره متكاملا من كل جانب من تلك الجوانب مستوفيا لتلك الشروط ، جامعا بين مناهج التفسير المتعددة، فلقد جمع بين منهج التفسير اللغوي، مقتفيا آثار أئمتها ابن عباس، و أبي عبيد، و الفراء، وأبي عبيدة والزجاج و النحاس . و بين منهج التفسير النقلي مقتفيا آثار أئمتها عبد الرحمن بن زيد الطبري و بين منهج المتكلمين و بين منهج التفسير الفقهي مقتفيا آثار أئمتها مالك الشافعي و أبي حنيفة و سفيان الثوري والأوزاعي. و ليس جمعه بين المناهج المتعددة تكراراً لعمل

١ - الزركشي: البرهان ١٧٥/٢ - ١٧٦ .
٢ - نفسه ١٧٨/٢ - ١٧٩ .

السلف، بل لم يسبقه أحد من السلف بهذا التأليف الجامع المستلهم للتراث السابق عليه المستوعب لدقائق ما جاء من مناهجهم، وهذا شأن العلماء أن يستلهم التراث ثم بعد أن يستوعبه يتخير منه ثم يضيف إليه ما يوحي به تأمله و إلهامه .

و لما كانت طبيعة البحث تقتضي منا بيان منهجه في التفسير ارتأينا أن نعرض لمنهجه مجملا ثم نتناوله بالتفصيل .

أولا منهجه مجملا[1]:

١. يبدأ تفسيره للآية القرآنية حسب ترتيب المصحف بالقول في الإعراب، و هو لم يقصد بالإعراب ضبط أواخر الكلم فقط إنما قصده النحو بمعناه الواسع جامعا بين المباحث اللغوية و النحوية في موطن واحد و يبدو ذلك واضحا من جمعه بين المباحث اللغوية كالاشتقاق و التصريف و الظواهر الصوتية و بين المباحث النحوية التراكيب و الإفراد و دور ذلك في الكشف عن المعنى .

٢. و هو بعد أن يستوفي القول في الإعراب ينتقل إلى القول في القراءات و صلتها بالمعنى.

٣. ينتقل إلى القول في المعنى و التفسير، فيكشف اللفظة المفردة و دلالتها اللغوية عن طريق كشف النظائر و النقيض، ثم يبين سبب نزول الآية و يكشف عن الناسخ و المنسوخ و يبيِّن أن النسخ لا يكون إلا في آيات الإحكام و بعد أن ينتهي من ذلك يكشف المعنى من جوانب عدة، فإن كانت الآية مجملة فصلت في آيات أخرى وضحها و بيَّنها، إن كانت السنة قد بينتها نص على ذلك وهو في كل هذا يستشهد بالشعر فإن تعرض لقصة قرآنية بيَّنها وذكر أن هذا القول هو أوعب ما قال

١ - راجع ملحق الرسالة شكل رقم (١)

المفسرين، فإن تعرض لمسألة كلامية بيَّنها و نبه عليها وناقشها، فإن كان في الآية حكم فقهي نص عليه وجمع بين أقوال الأئمة و تخير أجود تلك الأقوال ثم إذ انتهى من ذلك ذكر ما تضمنته الآية من حيث يوضح مفهومه للآية، ثم ينتقل إلى القول في الوقف و التمام لينهي تفسيره للآية و هو في كل هذا يغلب عليه الطابع اللغوي و الاهتمام بالجانب الأسلوبي وصولا للمعنى هذا هو خلاصة منهجه إجمالا على أننا ارتأينا في تفصيل منهجه مراعاة للترتيب أن نبدأ بالجانب اللغوي و يشمل :

القراءات و الاشتقاق و التصريف و النظائر و النقيض و الإعراب. ثم الجانب النقلي و نبين فيه أحسن طرق التفسير و أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ والقصة القرآنية. ثم الجانب الفقهي و ما تعرض له من أحكام فقهية و رأيه فيها.

ثم الجانب الكلامي لننتهي عند الجانب الأدبي و نبين فيه قضية الإعجاز القرآني وكيفية استخدامه للشواهد الشعرية وصولا للمعنى المراد.

ثانيا: منهجه مفصلا:

و بعد أن بيَّنا منهجه مجملا نأخذ في بيان منهجه مفصلا على أننا في بياننا لمنهجه سوف نراعي الترتيب حسب طبيعة البحث و كما سبق الإشارة إلى ذلك.

الفصل الأول

الجانب اللغوي في تفسيره

قبل أن نكشف عن الجانب اللغوي في تفسيره، نقول إن الجانب اللغوي عنده يعني الكشف عن جميع الوجوه اللغوية في اللفظة المفردة و في التركيب اللغوي من خلال عرضه للقراءات القرآنية و تعليله لكل قراءة و اشتقاق كل كلمة للوصول إلى أصلها اللغوي و اهتمامه بالجانب الصرفي للكلمة و الجانب الدلالي من خلال بيانه للفظة المفردة [1] و كشفه عن النظائر و النقيض ثم يكمل هذه الدائرة بالكشف عن الموقع الإعرابي والتعلق اللفظي و هذا هو ما اصطلح عليه العلماء بمعاني النحو، كل ذلك ليكشف لنا عن اللفظ المغلق وصولا للمعنى المقصود.

ولكن يبرز لنا المعنى في اتساق مقبول بعيد عن الاختلافات المخلة بالمعاني اتسم جهده باستقراء التراث السابق عليه و استيعابه و تخير أجوده ثم تطبيقه تطبيقا علميا في تفسيره، و هو بذكاء العالم بمتطلبات التفسير تخير إعلام كل من فاستلهم منه مادة بحثه ففي مجال القراءات القرآنية استند على آراء: مجاهد (ت ١٠٣ هـ) و أبي رجاء (ت١٠٥هـ) و ابن عامر (ت ١١٨ هـ)، و ابن كثير (ت ١٢٠ هـ)، و عاصم الكوفي(ت١٢٧هـ)، و أبي جعفر (ت ١٢٣ هـ)، عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ)، و أبي عمرو بن العلاء(ت ١٥٤ هـ)، وحمزة الكوفي (ت ١٥٦ هـ)، نافع المدني (ت ١٦٩ هـ)، ورش المصري (ت ١٩٧ هـ)، قالون (ت ٢٢٠ هـ)، أبي عبيد (ت ٢٢٣ هـ)، حفص (ت ٢٤٠ هـ) ابن

١ - المقصود بيانه للفظة المفردة: الدلالة المعجمية و هي ما يختص به القسم الثالث

السكيت (ت ٢٤٣ هـ)، الدينوري (ت ٢٨٩ هـ)، البزي (ت ٢٥٠ هـ) النحاس (ت٣٣٨هـ)، الإدفوي (ت ٣٨٨ هـ).

وفي مجال الوقف والتمام استند على آراء: يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) وأبي حاتم (ت ٢٥٠ هـ) ، وابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)

وفي مجال اللغة والنحو استند على آراء : ابن عباس (ت ٦٨ هـ)، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، وسيبويه (ت ١٨١ هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦ هـ)، الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، الأخفش (ت ٢٢١ هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) ثعلب (ت ٢٩١ هـ)، ابن كيسان (ت ٢٢٩ هـ)، الزجاج (ت ٣١١ هـ)، ابن دريد(ت٣٢١هـ)، الأزهري (ت ٣٧٠ هـ).

فالحوفي باعتماده على آراء أئمة كل فن من فنون اللغة والنحو والفنون الأخرى هدف إلى تكوين مدرسة مصرية في التفسير غرضها توحيد الآراء وجمع شتات ما تفرق من الآراء والأقوال هدفها:

١. الكشف عن معاني النص القرآني باعتماد على اللغة والنحو والإعراب وفي ذلك يقول الواحدي: " إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب فإنهما عمدتاه وأحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب"[١] ويقول في موضع آخر:" من تأمل مصنفات المفسرين ووقف على معاني أقوالهم لم يقف على معاني كلام الله دون الوقف على أصول اللغة والنحو[٢] إلى غير ذلك .

٢. تقويم اللسان والحفاظ على اللغة من اللحن وسلامة التنزيل، فلقد نشط للدفاع عن ذلك مدرسة البصرة والكوفة وجمعت بينهما المدرسة البغدادية ونشط في مقابل

١ - الواحدي: البسيط ٢/١
٢ - الواحدي: نفسه ٨/١.

المدرسة البغدادية المدرسة المصرية التي نبتت عند النحاس و الإدفوي و نمت و ازدهرت عند الحوفي الذي جمع بين تلك المذاهب، و جعل من التفسير موسوعة لغوية نحوية حافلة بشتى المباحث و أضرب الآراء فلم يترك مجالا للبحث اللغوي أو النحو في موضوع من التنزيل إلا و قد سبر أغواره ، و غاص إلى قراره، مستعرضا في ذلك شتى الوجوه و الآراء و الأقاويل، ما بين ترجيحه و نقده و رأيه.

٣. الوقوف أمام متأولي النص القرآني من مثل أصحاب المذاهب المتعددة والفرق المختلفة خاصة أصحاب المذهب الشيعي الذي نمى و ازدهر في العصر الفاطمي و الدهرية (١)، و منكري البعث (٢) ، و من أنكر أن الله قادر (٣) من المنطلق برز لنا اهتمام الحوفي بالجوانب اللغوية المتعددة ومراعاة لأن اللغة ظاهرة صوتية لأن الأصل في اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها الناس (٤) ارتأينا أن نبدأ ببحث هذا الجانب من خلال كشفه عن وجود القراءات القرآنية و توجيهها و الاحتجاج لها في تفسيره، ثم ينتقل بنا البحث إلى الجانب الاشتقاقي كجانب أصل في مباحث اللغة، ثم يتلوها الجانب الصرفي فالدلالي ثم الجانب التركيبي و التعلق اللفظي.

١ - الحوفي: البرهان ٣١/١٠.
٢ - الحوفي: نفسه ٣٦/١٠ .
٣ - الحوفي: نفسه ٩/١ – ٤٢ .
٤ -د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة ص ٣١ .

القسم الأول
الظاهرة الصوتية في تفسيره

أولا : علاقة القراءات القرآنية باللهجات العربية:

قبل الحديث عن الظاهرة الصوتية في تفسير الحوفي، لابد أن نلقي الضوء على علاقة القراءات القرآنية باللهجات العربية، و ذلك للارتباط الوثيق بين الجانب الصوتي القراءات القرآنية و اللهجات العربية، فالجانب الصوتي لا يمكن الوقوف عليه إلا عن طريق القراءات القرآنية و القراءات القرآنية إنما هي لهجات عربية.

و إنما الهدف من اشتمال قراءات القرآن على لهجات معظم قبائل العرب، إنما ذلك لتوحيد العرب الذين كانوا متفرقين قبل نزول القرآن، ولولا القرآن و قراءاته لضاعت تلك اللهجات التي لا زلت موجودة منذ نزول القرآن إلى أن يرث الله الأرض و من عليها(١)

ولقد قصد الحوفي بعرضه للقراءات القرآنية و الجوانب اللغوية والنحوية الحفاظ على اللهجات العربية للوقوف بها أمام أهل الزيغ و الإلحاد، و الأهواء و البدع الذين تأولوا النص القرآني تبعا لأهوائهم فأخطأوا و تكلموا في كلام الله دون معرفتهم باللغة و آدابها.

فلقد كان لاختلاط العرب بغيرهم من سائر الأجناس المختلفة، أصحاب اللهجات المتعددة الأثر الواضح في ضياع اللهجات العربية .ولولا القرآن و قراءاته لضاعت تلك اللهجات التي لا زلت موجودة منذ نزول القرآن إلى الآن و بعد الآن، من هنا يتضح أن القرآن و قراءاته، كان لهما الأثر الواضح في الحافظ على الكثير من اللهجات العربية

١ - د. د محمد سالم محيسن: القراءات و أثرها في علوم العربية ٨٢ .

القديمة. فلولا القرآن و قراءاته ما عرف الكثيرين من بني الإنسان هذه اللهجات التي لا زال يرددها و ينطق بها الملايين من شتى بقاع الأرض بما فيهم العربي و غير العربي (١).

ولكي تتبين لنا تلك العلاقة لابد من توضيح المقصود بالقراءات القرآنية واللهجات العربية و اللغة

يقول ابن الجزري:

القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها بعزو الناقلة. خرج النحو واللغة و التفسير و ما أشبه ذلك. و المقرئ العالم بها رواها مشافهة فلو حفظ التيسير مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا لآن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع و المشافهة(٢).

و أما اللهجة: فهي أسلوب أداء الكلمة إلى السامع، من مثل إمالة الفتحة أو تفخيمها مثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في جرس الألفاظ، و صوت الكلمات، و كل ما يتعلق بالأصوات و طبيعتها و كيفية أدائها.

و أما اللغة: فهي الألفاظ التي تدل على المعاني؛ من أسماء و أفعال و حروف ويراد بها النحو، و هو طريق تأليف الكلمات و إعرابها للدلالة على المقصود؛ و كذا يراد بها كل ما يتعلق باشتقاق الكلمات و توليدها،و بنية الكلمة و نسجها، أو معاني بعض الكلمات ودلالتها (٣).

فالعلاقة على هذا علاقة وثيقة، يوضحها لنا ما بيَّنه الحوفي في تفسيره؛ من عرضه للقراءات القرآنية و المباحث اللغوية من اشتقاق و تصريف و بيان النظائر و النقيض

١ -. د محمد سالم محيسن: نفسه ٨١/١ – ٨٢ .
٢ - أبو الخير محمد بن محمد الجزري: منجد المقرئين و مرشد الطالبين٣ .
٣ -عبد الوهاب حمودة: القراءات و اللهجات ٤-٥ .

ومعالجته النحوية من إعراب و تعلق لفظي، التزم منهجاً متفرداً و هو تتبع كل آية في القرآن مرتبة حسب ترتيب المصحف فيعالجها من جميع الوجوه، جامعا بين الرواية والدراية، بين النظرية والتطبيق.

ثانيا: وجوه القراءات القرآنية و تعليله لكل قراءة :

لقد كان من الطبيعي لدراسة الظاهرة الصوتية أن نبدأ بالكشف عن منهجه في عرض أوجه القراءات و احتجاجه لكل قراءة، و قبل أن نعرض لما قام به الحوفي نبيِّن ما اتفق عليه العلماء من أنواع القراءات. يقول السيوطي نقلا عن ابن الجزري كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه و وافقت احد المصاحف العثمانية و لو احتمالا و صح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها و لا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها سواء كانت من الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، و متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة (١).

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بالقراءات القرآنية و هو دقيق في هذه فترُه تارة يرجع القراءات إلى إمام كل قراءة، فإذا انفرد قارئ أو أكثر ذكر ذلك، ثم علل لكل قراءة، و هذا الصنيع هو الغالب على عرض الحوفي لأوجه القراءات، ففي قوله تعالى

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (٢)

يقول قرأ أبو بكر عن عاصم جَبْرَءل بفتح الجيم و الراء وهمزة مكسورة بلا ياء وقرأ ابن كثير " جَبْرِيل" بفتح الجيم و كسر الراء و ياء بعدها من غير همز، و قرأ حمزة الكسائي "

١ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٩٩/١.
٢ - سورة البقرة آية ٩٧.

جَبْرَئيل" بفتح الجيم و الراء و همزة بعدها ياء، والباقون بكسر الجيم و الراء و ياء بعدها بلا همز "جِبْرِيل" .

و قرأ أبو عمرو وحفص "ميكال" على وزن مفعال و قرأ نافع "ميكاءِل" بهمزة الألف و لا ياء بعدها على وزن ميفاعِل، و الباقون بهمزة بعدها ياء على وزن ميفاعيل فجبريل و ميكال لغة أهل الحجاز، و الشاهد لها قول الشاعر :

و يومَ بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ فيه مع النصر ميكالٌ و جبريلٌ

و يروي جبريل و ميكال، و منه قول حسان:

و من قرأ جبريل و ميكائيل احتج بقول جرير بن عطية :

فلغة أهل الحجاز جبريل، ولغة تميم و قيس و بعض نجد جبرئيل. و في جبرئيل لغة أخرى " جبرين" بالنون ، و جبْرَاءِل و لم يقرأ بهما و هي أسماء أعجمية أعربتها العرب قال ابن عباس: هو مثل عبد الله و عبدالرحمن، قال أبو عبيد هما اسمان لهما كزيد و عمرو.

و قيل جبرُ عبد وال الله، و ألزم قائل هذا أن يكون مضافاً فيقول هذا جبرال ورأيت جبرال، و مررت بجبرال، واحتج لمن قال هذا أنه لا يلزم إضافته لأنهما قد خلطا وجعلا اسما واحدا فصار مثل بعل بك و رام هرمز. والوجه أن يكونا أعجمين لا يعرف اشتقاقهما عربتهما العرب(١). والحوفي بهذا يتفق مع ابن مجاهد في تخريجه للقراءات إلا أن الحوفي يعلل لكل قراءة و أن مجاهد يكتفي بذكر الوجه دون تعليل(٢).

و في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا

١ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢.
٢ - ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات ١٦٦/١ – ١٦٧.

قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

يقول: قرأ حمزة و الكسائي " إلى ثَمَرِهِ"، كلوا من ثُمُرِه فيها و في يَس : ليأكلوا من ثُمُرِه بضم الثاء و الميم في جميعه الباقون بفتحها، و قرأ أبو عمرو في الكهف " و كان لَهُ ثُمْرٌ و أحيط بِثُمْرِه بضم الثاء و سكون الميم، عاصم بفتحها ، الباقون بضمها. فالضم في جميعه يحمل وجهين أحدهما أن يكون جمع ثمار كحِمَار و حُمُر، أو يكون جمع ثَمَرَةٍ مثل حَشَبَة وحُشُب، و الفتح على أنه جمع ثَمَرَة وثَمَر كشَجَرَة و شَجَر، و الإسكان لاستثقال الجمع بين ضمتين، و من فتح و ضم جمع بين لغتين و حكي عن ابن عمرو أن المضموم المال المثمر والمفتوح الثمر (٢).

فهو في هذه الآية قد اعتمد في تخريجه للقراءات على أئمة القراءات على أئمة القراء حمزة و الكسائي و أبي عمرو و علل لكل قراءة و خرج المعنى على توجيه القراءة.

و في قوله تعالى﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣).

يقول قرأ نافع و ابن عامر" كلمات" و في يونس كلمات ربك و في المؤمن:

حقت كلمات ربك" بالجمع في سائرها ابن كثير و أبو عمرو هاهنا بالجمع و ما عداه بالإفراد الباقون بالإفراد في جميعه فالجمع محمول على قوله في غير موضع لا مبدل لكلماته" و الأفراد على قوله﴿... وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ...﴾ (٤)

١ - سورة الأنعام آية ٩٩.
٢ - الحوفي: البرهان ١٠١/١٠.
٣ - سورة الأنعام آية ١١٥.
٤ - سورة الأنعام من آية ١١٥.

﴿...وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾(١) وتـــرك الطرد للجمع بين لغتين (٢).

فإذا انفرد قارئ بالقراءة نص عليه و علل له، ففي قوله تعالى

﴿ .... قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣).

يقول: "قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ" قرأت الجماعة بالهمز إلا نافعا فإنه ألقى حركة الهمز على اللام و حذفها بعد حذفه الواو لالتقاء الساكنين لسكونها و سكون اللام و لم يعتد بحركة اللام لأنها عارضة فيرد الواو فيقرأ" قَالُواْ لآنَ" كأنه بلام مضمومة و بعدها لام مفتوحة وهذه القراءة على لغة من يقول:" الحمرُ يَجيءُ" بألف الوصل مع اللام لأنه لم يعتد بالحركة لأنها عارضة و يجوز قالوا الآن بإثبات الواو و حذف الهمزة و تحريك اللام بحركتها و هذا نظرية قراءة أبي عمرو" عادا لولا" في الاعتداد بحركة اللام فأدغم النون في اللام لسكونه وحركة اللام، و قد طعن في هذه القراءة و هي جيدة و الدليل على حسنها و جوازها والاعتداد بحركتها أن ما بعدها ساكن فلو لم يعتد بحركتها ما جاز أن تلي ساكنها نظير ذلك ثبات النون في قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ (٤).

و حركة التقاء الساكنين عارضة فلو لم يكن يعتد بها في مثل هذا لجاز حذف النون على طريق التخفيف إذا سكنت ولن يجز ذلك مع تحريكها لالتقاء الساكنين أحد(٥).

والحوفي إذا وردت له رواية في فرع ردها للأصل و علل لها أيضا، فمثلا إذا ذكر رواية عن ورش ردها للإمام الذي روى عنه ورش أو غيره أمثال هشام وابن ذكوان .ففي قوله تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (٦)

١ - سورة الأنعام من آية ١١٥.
٢ - الحوفي: البرهان ١١٩/١٠
٣ - سورة البقرة آية ٧١ .
٤ - سورة النساء آية ١٦٨ .
٥ - الحوفي: البرهان ٣٨/٢٠ .
٦ - سورة البقرة :آية ١١.

يقول :"اختلف القراء في قيل وغيض وحيل وسيء وسيئت وسيق وجيء " فقرأ هشام عن ابن عامر و الكسائي بالضم في جمعيهن ،وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بضم السين في سيء وسيئت حيث وقعا وقرأ الباقون بالكسر.

فمن ضم فللإيذان بمعنى الأصل لأن هذا الفعل المبني لما لم يسم فاعله مضموم الأول للفرق بينه وبين ما سمي فاعله(١).

وفي قولة تعالى﴿ ....وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢). يقول : اختلف القراء في ضم الهاء وإسكانها من قولة تعالي: ﴿....وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وكذلك إذا كان قبلها فاء أو لام أو ثم كقوله فهو ولهو "ثم هو" ، فأبو عمرو والكسائي يسكنان الهاء في "وهو ولهو وفهو" في الثلاثة ويزيد الكسائي إسكانها مع ثم ، و أبو عمرو يحركها مع ثم ،وقالون عن نافع يوافق الكسائي وورش عن نافع يحركها والباقون يحركون(٣) فنراه قد ارجع قراءة الفرع وهي قراءة قالون إلي الأصل وهي قراءة نافع ، وكذلك قراءة ورش .ثم بعد أن بين أوجه قراءة كل قارئ يعلل لكل قراءة يقول : وحجة من اسكن أن هذه الهاء حكمها أن تحرك بالضم لخفائها وقوة الضمة واصلها التحريك ، ومن أسكن أجراها مجراها في عَضُد فحذف الضمة لثقلها(٤) ، ومن حرَّك حرَّك على الأصل، و حجة أبي عمرو في التحريك مع ثم أن ثم حرف يوقف عليه وكأن الهاء مبتدأة ، والواو والفاء واللام حروف تتصل بالهاء و لا تنفصل منها فلهذا أُسكن معهن و حُرِّك مع ثم، و حجة الكسائي في الإسكان مع ثم أن ثم حرف من حروف العطف نظير الفاء و الواو فأجراه مجراهن، و إذا كانت هذه الهاء مبتدأة لم يجز غير التحريك لأنه يُبْتَدَأ بساكن، و ينشد في الإسكان:

تعلل و هي ساغبة بَنيهَا بانفاس من السبم القراح

١ - الحوفي: البرهان .
٢ - سورة البقرة :آية ٢٩.
٣ - الحوفي: البرهان .١١٠/١
٤ - الحوفي: البرهان .١١٠/١

و أحيانا يسند القراءة لأهل الأمصار دون ذكر لأسماء للقراء، فمثلا في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (١)

يقول اختلفوا في تشديد الظاء و تخفيفها هاهنا، و في سورة التحريم، فقرأ أهل الكوفة بالتخفيف و الباقون بالتشديد (٢). فنسب القراءة لأهل الكوفة ثم علل لكل قراءة يقول: فمن شدَّد فالأصل يتظاهرون قلبت التاء طاء و أدغمت الطاء في الظاء لقرب مخرجيهما، و من خفف استثقل تاءين متحركتين في أول الكلمة فحذف في احديهما وهي تاء التفاعل، و قد جاء مثل ذلك في قوله عز و جل

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾ (٣) و الأصل يتمنون (٤).

و في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (٥).

يقول: قرأ أهل الكوفة الدرُك بسكون الراء، و الباقون بفتحها و هما لغتان إلا أن الفتح أشهر في كلام العرب، و من فتح استدل بالجمع إدراك كحمل و أحمال لأنه الغالب في فعل و يجمع المفتوح على إدراك و درئك و المسكن جمعه على أدرك و درئك (٦).

و قد يستند إلى قارئ بجانب أهل الأمصار، ففي قوله تعالى﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ﴾ (٧)

يقول قرأ أهل الحرمين و عاصم يقصّ الحق بصاد مشددة،و قرأ الباقون بصاد معجمه مخففة، فوحد الصاد قوله بعده "وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ" و لا يكون الفصل إلا في

١ - سورة البقرة آية ٨٥ .
٢ - الحوفي: البرهان ٦٧/٢ .
٣ - سورة آل عمران آية ١٤٣.
٤ - الحوفي: البرهان ٦٧/٢ .
٥ - سورة النساء آية ١٤٥ .
٦ - الحوفي: البرهان ٨٦/٨ .
٧ - سورة الأنعام آية ٥٧ .

القضاء، ولا يلزم قول من قال لو كان يقضي لكان بالحق لأن يقض هاهنا بمعنى يصنع الحق كما قال الهزلي:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

يريد صنعها داود ، وأيضا فانه يجوز أن يكون صفة لمصدر يقضي القضاء بالحق وأما الصاد فالحمل علي ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق كما قال : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ (١) وأيضا فإنه في السؤال بغير فأما حذف الياء يكون حملا علي اللفظ (٢) .

والمطلع علي تخريجات الحوفي للقراءات واحتجاجه لكل قراءة نراه قد التزم منهجا معينا فيها ، فتارة يرجع القراءة إلي الناحية الصوتية وهذا هو ما نصبوا إليه في هذا القسم ، وتارة أخرى يرجع القراءة إلي الموقع الإعرابي وأحيانا إلي اللهجات العربية وغير ذلك من تعليله لكل قراءه .

ثالثا: الجانب الصوتي :

أ-تعليله الصوتي للإمالة :

يقتضينا منهج الدراسة الكشف عن معالجة الحوفي للجانب الصوتي للإمالة فالمطلع علي تخريجه للقراءات يري أنه لم يفرد للإمالة جانبا مستقلا قصد به دراستها ففرع مسائلها كما فعل السابقون عليه أو اللاحقون به (٣) بل كشف عن القراءة في موطنها وعلل لها ففي قوله تعالي :﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ (٤) يقول : قرأ أبو عمرو والكسائي في رواية أبي عمر " أَبْصَارِهِمْ " بالإمالة والباقون بغير إمالة فمن أمال قال لمجاورة الألف وهي مكسورة وكسرة الراء مقام كسرتين

١ - سوره يوسف الآية ٣.
٢ - الحوفي : البرهان ٦٠/١٠.
١. قصدنا السابقين عليه مثل: ابن مجاهد، واللاحقين:مكي وغيره.
٢. سورة البقرة آية ٧

لما فيها من معني التكرير فطلب أن يكون عمل اللسان عملاً واحدًا مع قوة الكسرة ، ومن لم يمل قال الكسرة ليست بلازمة إذ كانت إعرابا ، مع أن التفخيم أجود لأنه أهل الحجاز وهي الأصل ، والإمالة فرع وهي لغة تميم " (١).

وفي قولة تعالي ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (٢).

ويقول :قرأ حمزة بامالة"جاء وشاء وخاف " فللإمالة في جاء وشاء لتدل علي الياء التي الألف منقلبة منها والإمالة في خاف لتدل علي الكسرة في الواو لنا الأصل "خَوِفَ" والباقون يفتحون علي الأصل وهو لغة قريش ، وكل إمالة فأما لياء أو كسرة أو حرف ممال طلباً للمشاكلة والإمالة لغة تميم (٣) وفي قولة تعالي:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا.....﴾ (٤)

يقول : قرأ حمزة و الكسائي بكسرهما كوكباً بكسر الراء في كل القرآن ابن عامر يكسرهما فيما وليهما ظاهر ، أبو بكر يكسرهما في هذا الموضع حسب ، وأبو عمر بفتح الراء وكسر الهمز ، الباقون بفتحهما في جميع القرآن ، فأن لقيهما ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة ، أبو بكر فتحهما الباقون .فالإمالة في هذا للألف لتدل أملتها علي انقلب عن الياء والهمزة تابعة لها .والراء تابعة للهمز ليكون العمل من وجه واحد وإمالتها مع الظاهر دون المضمر فلأنها ترجع مع المضمر إلى الياء في بعض الأحوال وهي مع الظاهر ألف مع كل حال ، ولزوم الإمالة لموضع واحد دون سائر المواضع فلإتباع الراية وأما فتح الراء وكسر الهمزة من الألف والألف يتبعها ما يليها وفتح الراء فلبعدها عن الألف ومن

٣ - الحوفي : البرهان ٤٧/١
٤ - سورة البقرة آية ٨٩.
٥ - الحوفي :البرهان ٤٧//١
٦- سورة الأنعام آية ٧٦.

فتحها جميعاً فعلى الأصل لان الأصل الفتح والإمالة عارضة للدلالة على الياء وما يؤول إلى معنى الياء في الألف المنقلبة من الواو لأن التصريف يردها إلى الياء في بعض المواضع(١).

والحوفي بهذا حدد الإمالة بقوله :"وكل إمالة فإما لياء أو كسرة أو لإتباع حرف لحرف ممال طلبا للمشاكلة "(٢). وهو بهذا التحديد قد أوضح ما قاله سيبويه حيث يقول: " الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك : عابد، وعالم ،ومسجد ، ومفاتيح إنما إمالتهم للكسر التي بعدها "(٣).

فسيبويه قصر الإمالة للألف ، وحدد أنها تمال للكسر التي بعدها ،في حين أن الحوفي لم يجعل الإمالة مقصورة علي الألف بل علي الألف ،والفتح يقول :"ومن فتحهما جميعا فعلي الأصل لأن الأصل الفتح " (٤).

كما أنه لم يجعلها للكسرة فقط بل للياء والكسرة و لا تباع حرف لحرف ممال.واتفق معه مكي حيث يقول: أعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث : وهي الكسرة وهما أميل ليدل علي أصله ، والإمالة للإمالة (٥).

والحوفي يعلل سبب الإمالة بالآتي :-

أولا :إذا جاور الألف الراء المكسورة الممالة وبين الكسرة كما في قولة تعالي "أبصارهم" أميلت ليكون عمل اللسان عملا واحدً (٦) ، أي يكون توافق بين الألف الممالة وبين الكسر ويتفق معه مكي في تعليله لسبب الإمالة بقوله : وعلة من أماله أنه لما وقعت الكسرة بعد الألف قرب الألف نحو الياء ، لتقرب من لفظ الكسرة ، لآن الياء من الكسر

١ - الحوفي:البرهان ٧٩/١٠.
٢ - الحوفي:نفسه ٧٧/٢.
٣ - سيبويه : الكتاب ٢٥٩./٢
٤- الحوفي : البرهان ٧٩/١٠.
٥ - مكي الكشف ١٧٠/١.
٦ - الحوفي :البرهان ٤٧/١..

ولم يمكن ذلك حتى قربت الفتحة التي قبل الألف نحو الكسرة فحسن ذلك ليعمل اللسان عملا واحدا متسفلا (١). والحوفي لم يكن كمكي في تحديد قرب الألف نحو الياء مخافة اللبس لان كلمة "أبصارهم" ليست من ذوات الياء فحدد أن علة من أمال: لمجاورة الألف الراء وهي مكسورة الراء مقام كسرتين لما فيها من معنى التكرار فطالب أن يكون عمل اللسان عملا واحدا مع قوة الكسرة (٢)

والحوفي يبين أنه إذا كانت الإمالة لياء أو لكسرة أو لإتباع حرف لحرف مال فإن عِلَّتها طلباً للمشاكلة (٣) في حين أن سيبويه يعلل الإمالة للكسرة بأنهم أرادوا أن يقربوها منها (٤)

والحوفي بتحديده أدق من سيبويه لأن المشاكلة : المشابهة والمماثلة يقول ابن منظور:" الشكل بالفتح، والشكل أشكال و شكول .. وقد تشاكل الشيئان، و شاكل كل واحد منها صاحبه، أبو عمرو: في فلان شبهٌ من أبيه و شكلٌ و أشكله و شكْله وشاكلٌ ومشاكلةٌ (٥) والحوفي في هذا متأثر بما نصَّ عليه أبو علي الفارسي حيث يقول: فكذلك في باب صراط و صويق. لما أريد فيه ذلك ترك الأصل إلى تشاكل الصوتين وتجانسهما(٦).

والحوفي يرجع دائما للأصل و ينص على أن الأجود الفتح و هو لغة أهل الحجاز والإمالة فرع و هي لغة تميم (٧). و هو لم يكن مبتدعاً في هذا بل اتفق مع سيبويه يقول " و جميع هذا لا يميله أهل الحجاز"(٨). و أبي علي الفارسي يقول:" الألف أيضاً أصلها ألا

١ - مكي : الكشف ١/. ١٧٠.
٢ - الحوفي : البرهان ٤٧/١.
٣ - الحوفي: نفسه ٧٧/٢.
٤ - سيبويه : الكتاب ٢٥٩/٢.
٥ - ابن منظور: لسان العرب مادة "شَكَلَ "
٦ - أبو علي الفارسي . الحجة ٣٩/١.
٧ - الحوفي: البرهان ٤٧/١.
٨ - سيبويه: الكتاب ٢٥٩/٢.

تمال ، ولكن لما وقعت مع الكسرة و الياء فأريد مجانسة الصوتين و ملاءتهما أميلت، وترك الأصل الذي التفخيم و التحقيق لها(١) .

و الحق معهم فيما قالوه، الذي توهمه بعض العلماء أن ذلك من جهة التفخيم والتعظيم ، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: و إن من أعظم القول أن يقال ما قرأت به الجماعة و وقع في السواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي صلي الله عليه وسلم أجود أو أخير و القراءات جميعها نقلت الجماعة عن الجماعة(٢)

و لعل ما أدى إلى ذلك هو الجمع بَيْنَ ما جاء من أقوال حول الأحرف السبع التي نزل بها القرآن و التي نصَّ عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه" و بَيْنَ القراءات و القرآن و بين القراءات القرآنية فالذي عليه أكثر أهل العلم :أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم ولقد بيَّن القرطبي ما جاء في البخاري ومسلم من قول الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال وحرام وما علل به الطحاوي من أن السعة كانت للناس في الحروف لعزهم عن أخذ القرآن علي غير لغاتهم فوسع لهم عي اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقا ، وقول ابن عبد البر : إن تلك الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلي ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرا به القرآن علي حرف واحد (٣) وقد قيل : المراد بقوله علية السلام " أنزل القرآن علي سبع أحرف " القراءات السبع التي قرأ السبعة ، لأنها لانا كلها صحت عن رسول الله صلي الله عليه سلم وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه ، فلقد نفي العلماء ذلك :

١ - أبو علي الفارسي . الحجة ٣٩/١.
٢ - الدكتور أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ٦.
٣ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٤٣/١ .

فليست هذه الأحرف السبع التي تنيب لهؤلاء القراء السبعة هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءات بها وإنما هي راجعة إلي حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصاحف (١) وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك هي اختيارات أولئك الأئمة القراء (٢).

وعلي هذا وعلي ما ثبت من أن عثمان أمر بإثبات القرآن بلغة قريش عندما قال "أن اختلفتم في شيء أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه علي لسان قريش فإنما نزل بلسان قريش(٣) . من هذا بان لنا أن الأصل لغة قريش والحوفي لا يمنع القراءات الأخرى ومنها الإمالة حيث يقول : ولزوم الإمالة لموضع واحد دون سائر المواضع فلا تباع الرواية (٤)

وهو بهذا يأخذ بصحة الرواية وموافقة العربية و هو بهذا قد حدد علل الإمالة ووضح الفرق بين الفتح والإمالة، وأيهما الأصل وبين الجواب الصوتية في الإمالة.

ثانيا : تعليله الصوتي لتحقيق الهمز وتخفيفه :

والحوفي يعلل الجانب الصوتي لتحقيق الهمز وتخفيفه ، والأمثلة التي جاءت في ذلك كثيرة (٥) نقتصر علي ذكر الأمثلة التالية : ففي قوله تعالي ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٦)

يقول : قرأ أهل الكوفة وابن عامر " السُّفَهَاء أَلا" بهمزتين علي الأصل ، وقرأ الباقون بهمز الأولى وتخفيف الثانية ، والهمزة إذا كانت مفتوحة وقبلها ضمة وأردت

١ - القرطبي :الجامع ٤٧/١
٢- القرطبي :نفسه ٤٦/١
٣ - الداني : المقنع في رسم المصاحف ٥.
٤ - الحوفي : البرهان ٧٩/١٠.
٥ - راجع : الحوفي : البرهان ٣٦،٤٢/١، ٤٥، ٥٨، ١١٨، ١٨٧، ١٩٦. ٢١/٢، ٣٠، ٣٨، ٩٤. ٧٣/٢. ٤٤/١٠. ٢/١٢.
٦- سورة البقرة آية ١٣

تخفيفها قلبتها واواً فمن خفف نراه جمع بين همزتين لثقلها لأن الهمزة نبرة تخرج من الصدر باجتهاد حتى لقد أنزلها سيبويه منزلة التهوع ، ومن حقق جري علي الأصل وقال هما كلمتان لأن الهمزة إنما يلزم تحقيقها إذا اجتمعت مع همزة في كل واحدة مثل آدم وآخر وأما في كلمتين فيجوز تخفيفها لأنه لا يلزم أن يكون بعدها مثلها (١).

وفي قوله تعالى﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٢)

يقول: قرأ أهل الكوفة وابن عامر" هَؤُلاء إِن كُنتُمْ" بتحقيق الهمزتين،وروي عن ورش بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية وجعلها كالمدة وقنبل عن ابن كثير معه على ذلك روي عنه تخفيف الأولى وتحقيق الثانية، وروي عن ورش أنه كان يحقق الأولى ويجعل الثانية كالياء الخفيفة مكسورة وبها قرأت على أبي بكر في اعتباره وقال هو اختيارأبي حاتم وأقرأنا أيضاً بالمدة الخفيفة.

وأبو عمرو يحذف الأولى ويحقق الثانية، من حقق الهمزتين قال هو الأصل ،ومن حذف فهو الأصل ، ومن خفف أحداهما فلاستثقال الجمع بين همزتين ، ومن حذف فهو لشدة استثقاله الجمع بين همزتين فأعل الأولى بالحذف كما يدغم الأول في الثاني ، ورأى أن من خفف الهمزة فالهمزة باقية وإن كان قد أضعف الصوت بها (٣).

وفي قوله تعالي﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤)

١- الحوفي : البرهان ٥٨/١.
٢- سورة البقرة آية ٣١
٣- الحوفي : البرهان ٥٨/١.
٤- سورة المائدة آية ٦٩.

يقول : كلهم علي التخفيف والأخر بالهمزة إلا نافعا فانه قرأ " الصابون " ووجه القراءة أن يكون علي التخفيف والأخر أن يكون من صبا يصبوا فيكون التقدير"الصابيون" فاستثقلت الضمة علي الياء فحذفت فسكنت الياء وبعدها الواو ساكنة فحذفت فسكنت الياء وبعدها الواو ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ،والمهموز من يصبأ أذا خرج ، يقال : صبأ ناب البعير ، وصبأ سن الصبء ، روي عن سعيد بن جبير أنه قرأ والصابئين بالعطف علي الذين (١) ، وقد ذكرهم فيما تقدم (٢) .

ولقد استدرك عليه ابن بري بقوله :"ولقد أنكر أبو طاهر أن يكون الصابون مخففا من الصابئون لأن ذلك يوجب أن يجعل بَيِّنِ بَيِّنِ ولا يحذف ، وصحح الوجه الثاني وهو أن يكون من صبا يصبو ، والذي ألزم المصنف غير لازم له لأنه إنما خفف الصابئون علي مذهب أبي الحسن الأخفش في قلب الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها ياء وذلك نحو قوله مستهزئون والخاطئون ومتكئون ، وقد روي ذلك عن حمزة في الوقف ولما صارت الياء في مستهزئون وخاطئون بمنزلة الياء الأصلية في اللفظ عوملت معاملتها فنقلت حركة الياء علي ما قبلها وحذفت كما تحذف في مثل قولك القاضون والرامون فصار مستهزين وخاطون ومتكون وقد روي ذلك عن حمزة أيضاً (٣) .

والذي نميل إليه ما قال به الحوفي للأسباب التالية :

١. أن التخفيف إنما جاء علي البدل ، فأبدل الهمزة بياء مضمومة ، فلما انضمت الياء إلي الواو والقي الحركة علي الياء ، واستثقالا للضم علي حرف علة ، حذفت

١- يقول الحوفي : أن الذين آمنوا ، الذين آمنوا اسم إن ، والذين هادوا عطف عليه والنصارى والصابئين عطف أيضاً ٢٠٠/١ ، وقرا نافع الصابين والصابون حيث وقع بلا همز ، الباقون يهمزون ، فالهمز من قولهم صبا في الدين صبوا ،وترك الهمز علي وجهين أحدهما أن يكون خفف الهمزة والوجه الآخر أن يكون من صبا إلي اللهو يصبوا صبوا "٢٠١/١٠"

٢ - الحوفي :البرهان ٧٣/٩.س

٣ - الحوفي :البرهان ٧٣/٩.

الضمة فسكنت الياء،فاجتمع حرفان ساكنان ،فحذف الأول لالتقاء الساكنين[١] فصارت" الصابون " وهي مخففة من الصابئون وبهذا لا يكون لاستدراك ابن بري علي الوجه الأول وجه.

٢. وان تصحيح ابن بري للوجه الثاني لم يكن له وجه أيضاً ، وذلك أن الحوفي يقول والأخر أن يكون من "صبا يصبو" فيكون التقدير الصابئون فاستثقلت الضمة علي الياء فحذفت فسكنت الياء لالتقاء الساكنين[٢] لهذا التبس الأمر علي ابن بري أهو بالإبدال أم بالاعتلال ، والصحيح أن يكون بالاعتلال ، قد حذف لامه في الجمع ، وهي واو مضمومة ،فجري الاعتلال علي إلقاء حركة الواو علي الياء[٣] فاستثقلت الضمة علي الياء فحذفت وبعدها الواو ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين .والأصوب في التعليل أن يقال : وحذف الواو الأولي لسكونها وسكون واو الجمع أو يائه بعدها فهي في الاعتلال قولك رأيت الغازية وهؤلاء الغازون[٤].

٣. أن العرب كانوا يسمعون من يدخل في دين الإسلام مَصْبُوًّا لأنهم كانوا لا يهمزون فأبدلوا من الهمزة واواً ، ويسمعون المسلمين الصُّبَاة بغير همز ، كأنه جمع الصَّابِي غير مهموز كقاض وقضاه وغاز وغزاه [٥].

وعلى هذا فما قال به الحوفي أقيس مما أستدرك به ابن بري عليه.

وفي قوله تعالى﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ..﴾[٦]

١- مكي : الكشف ٢٤٦/١.
٢ - الحوفي: البرهان ٧٣/٩.
٣- مكي: الكشف ٢٤٧/١.
٤- مكي: نفسه ٢٤٧/١.
٥ - ابن منظور اللسان مادة :" صبا"
٦- سورة الأعراف أية ١٠٩، ١١٠، ١١١.

يقول: قرأ أبو عمرو: أرجئهُ و أخاه بهمزة و الهاء مضمومة من غير واو و ابن كثير و هشام مثل أبي عمرو غير أنهما يصلان الهاء بواو ابن ذكوان" ارجئهِ " بالهمزة و كسر الهاء من غير بلوغ ياء و لا همز ، حمزة الكسائي و عاصم بإسكان الهاء من غير همز. فالهمز الأصل وحذف الواو على الاستخفاف مع تقدير الساكنين(١). ثم يعلل ذلك بقوله: لأن الهاء ليست بحاجز قوي لخفائها و هو الأكثر ومن وصل بواو فهو الأصل(٢)، و هو لا يرتضي قراءة ابن ذكوان يقول: ومن همز و كسر الهاء بغير ياء فليس يجيد لأن الهمز حرف جلد يعتد به حاجز على الكسرة في الجيم و من كسر الهاء من بلوغ ياء و لم يهمز فلكسرة الجيم والاجتزء بكسرة الهاء عن الياء و من وصل بالياء من غير همز فعلى الأصل كما أن كسر ما قبل الهاء أبدل من الواو ياء و من يجنز بالكسر منها، ومن أسكن الهاء و لم يهمز فعلى لغة من يقول:" ارجيت " إذا لغزته فحذف الياء للأمر و أسكن الياء على نية الوقف، و قيل سكنت الهاء على الأصل لأن أصلها السكون و إنما قويت لخفائها بالواو(٣).

فالحوفي بهذا يبين حكم الهمزة إذا خففت و كان ما قبلها ساكنا يقول: تطرح حركة الهمزة على الساكن الذي قبلها و تحذف(٤) و هو بهذا يتفق مع سيبويه فسيبويه يقول:" أعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها (٥) و الحوفي بهذا يرتضي تعليل سيبويه لحذف الهمزة فيقول: يقول سيبويه: تحذف الهمزة لكسرته استخفافا لكثرة الاستعمال (٦) والكتاب و لعل الحوفي برده لما قال به محمد بن زيد في تعليله لحذف الهمزة كان متنبها

١ - الحوفي: البرهان ١٢ /٢.
٢ - الحوفي: نفسه١٢ /٢.
٣ - الحوفي: نفسه١٢ /٢.
٤ - الحوفي البرهان٤٢/١.
٥ - سيبويه : الكتاب ٥٤٥/٢.
٦ - الحوفي: البرهان ٤٢/١ ، الكتاب ٥/٣.

للعلة التي أوجبت الحذف و هي أما الحركة لما ألقيت أصبحت لازمة و أصبحت بمنزلة الأصل بقوله:" ألا ترى أن ننطق بساكنين في كلمة"[1] و مكي يتفق معه فيما قال به محمد بن زيد يقول:" إن كان الساكن قبل الهمزة ليس بحذف مد و لين، و لا بحرف لين ألقيت عليه حركة الهمزة في التخفيف، و لا يجوز غير ذلك نحو المسألة، المشأمة و القرآن وشبهه تقول في التخفيف: المسلة، و المشمة و القرآن فتلقى حركة الهمزة على الساكن قبلها و تحذف استخفافا : تحذفها لسكونها و سكون ما قبلها، لأن الحركة عليها عارضة والأول أحسن" [2].

أما في التقاء الهمزتين يقول سيبويه: و أعلم أن الهمزتين إذا التقتا و كانت كل واحدة منهما في كلمة فإن أهل التحقيق يخففون إحداهما و يستثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس في كلام العرب أن تلتقي همزتين وفتحققا و من كلام العرب تحقيق الآخرة، و هو قول أبي عمرو، و ذلك قولك :" فقد جاء أشراطها"، " يا زكريا إنا نبشرك"، " و منهم من يحقق الأولى و يخفف الأخرى سمعنا ذلك من العرب، و هو قولك:" فقد جاء أشراطها"، " يا زكرياءانا"[3].

فسيبويه في هذا لا يقول بتحقيق الهمزتين، و يقول بالتخفيف و الحوفي يخالف في ذلك حيث يحدد أن التحقيق هو الأصل حتى عند من خفف يقول : و رأي أن من خفف الهمزة فالهمزة باقية و إن كان قد أضعف الصوت بها[4]. إلا أن تعليل مكي للهمزتين محققتين فهو يقول: و علة ذلك أنه لما جاز انفصال الأولى من الثانية آل الأمر إلى جواز

١ - الحوفي: البرهان ٤٢/١
٢ - مكي: الكشف ١١٠/١.
٣ - سيبويه الكتاب: ٥٤٩/٣.
٤ - الحوفي: البرهان ٥٨/١.

انفراد كل واحدة من الأخرى، و ذلك غير ثقيل، فجاز الجمع بينهما محققين، إذ الأولى في كلمة و الثانية في كلمة أخرى[١].

هذا و أن كان قد حدد وجهين للتخفيف فالحوفي قد حدد أربعة أوجه للتخفيف:

الوجه الأول: تحقيق الأولى و تخفيف الثانية و جعلها كالمدة و بها قرأ ورش و قنبل عن ابن كثير.

الوجه الثاني : تخفيف الأولى و تحقيق الثانية، قرأ بها قنبل.

الوجه الثالث : تحقيق الأولى و جعل الثانية كالياء الخفيفة مكسورة قرأ بها ورش يقول الحوفي: و بها قرأت على أبي بكر في اعتباره، و قال هو اختيار أبي حاكم .

الوجه الرابع: حذف الأولى و تحقيق الثانية قرأ بها أبو عمرو.

أما إذا كانت الهمزة ساكنة و قبلها متحرك: يقول سيبويه :

فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها[٢].

و الحوفي لم يأخذ بهذا القول على إطلاقه، و اتفق معه مكي في تعليله لحركة الهمز في قوله تعالى" أرجه و أخاه ". يقول مكي: و الهمز في هذا الفعل و تركه لغتان، يقال أرجيته، و ارجأته[٣] ، و هذا يتفق مع قول الحوفي: الهمز الأصل و حذف الواو على الاستخفاف مع تقدير التقاء الساكنين، و الهمز مع الوصل بواو هو الأصل . و من أسكن الهاء و لم يهمز لغة من يقول أرجيت فحذف الياء للأمر و أسكن على نية الوقف[٤]

ويعلل الحوفي الناحية الصوتية في هذا بقوله : إنَّ الهاء ليست بحاجز قوي لخفائها. و الهمز حرف جلد يعتد به حاجزٌ عن الكسرة في الجيم [٥]، ثم يؤكد بأن الهاء قويت بالواو لخفائها [٦].

---

١ - مكي: الكشف ٧١/١.
٢ - سيبويه: الكتاب ٥٤٤/٣.
٣ - مكي: الكشف ٤٧٠/١.
٤ - الحوفي: البرهان ٢/١٢.
٥ - الحوفي: نفسه ٢/١٢.
٦ - الحوفي: نفسه ٢/١٢.

و يتفق ذلك مع قول سيبويه حيث يقول: و اعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بَعُدَ مخرجها، و لأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد و هي أبعد الحروف مخرجا فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهرع (١)

و هي عند الحوفي حرف ثقيل: و الحجة لمن همز أن يهمز الأصل – ومن ترك الهمز فلان الهمزة ثقيلة تخرج من الصدر باجتهاد فأتوا بالتخفيف لهذا (٢).

و في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٣)

يقول : قرأ الكسائي أريتم و أريت و أفريتم و بابه تحذف الهمزة، نافع بتليينها الباقون بتحقيقها، فالهمزة على الأصل لأن ذلك إنما يترك في المستقبل مثل: يرى و ترى فأما الماضي فلا، و التليين لاجتماع الهمزتين همزة الاستفهام و عين الفعل، و من حذف بناه على المستقبل لأنه أصل و الماضي فرع فحمل الفرع على الأصل و حذفها في المستقبل لكثرة الاستعمال، و أنشد الكسائي في ترك الهمزة:

أريـــت أمـــرا لم أبلـــه أتـاني فقـال اتخـذني خلـيلا (٤)

و الحوفي يرى أن الهمزة هي أول الحروف مخرجا مخالفا بذلك الخليل بن أحمد الذي جعل العين هي أول الحروف مخرجا، يقول: و يقال لم أختيرت الهمزة ليوصل بها إلى الساكن دون غيرها من الحروف.

الجواب؛ لأن الهمزة تختل بها يلحقها من التخفيف و البدل و الحذف فجعلنا هذا سبيله تثبت تارة و تحذف و يجوز أن يكون لما احتاجوا إلى حرف يبتدئ به في أول الكلام جعلت الهمزة لأنها أول الحروف مخرجا فجعل الأول للأول (٥).

---

١ - سيبويه: الكتاب ٥٤٨/٣.
٢ - الحوفي: البرهان ٣٧/١.
٣ - سورة الأنعام آية ٤٠.
٤ - الحوفي : البرهان ٤٤/١٠.
٥ - الحوفي: نفسه ٦٠/١.

ثالثا : تعليله الصوتي للإدغام :

والحوفي في تعليله للإدغام يورد أمثلة كثيرة، نقتصر على ذكر بعضا منها: ففي قوله تعالى:" الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ". يقول أهل الحجاز و بنو أسد يقولون رَحيم و رَغيف بفتح أولها و قيس و ربيعة و تميم يقولون رِحيم و رِغيف بكسر أولها، و أدغمت اللام في الراء لقربها منها و كثرة لام التعريف، و هي تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام و تلك الحروف: النون و الراء و الطاء و الدال و التاء و السين و الصاد و الذال والظاء و الثاء و الضاد و الشين و اللام [1] و هو بهذا يتفق مع سيبويه في إدغام اللام في تلك الحروف [2].

وفي قوله تعالى﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [3]

يقول: قرأ حفص عن عاصم و ابن كثير" ثم اتخذتم " بالإظهار و قرأ الباقون بالإدغام فمن اظهر فلأنهما من كلمتين، و من أدغم فلقرب المخرجين أبدل الذال تاء ثم أدغم التاء في التاء و ذلك حيث وقع [4].

وفي قوله تعالى﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [5]

يقول: اختلفوا في تشديد الظاء و تخفيفها ها هنا و في التحريم، فقرأ أهل الكوفة بالتخفيف و الباقون بالتشديد فمن شدد فالأصل يتظاهرون قلبت التاء ظاء و أدغمت الظاء في الظاء لقرب مخرجيهما و من خفف استثقل تاءين متحركتين في أول الكلمة فحذف احديهما و هي تاء التفاعل، و قد جاء مثل قوله تعالى

---

١ - الحوفي: البرهان ٦/١، ٦٠/٢ ٣٧/٤.
٢ - سيبويه : الكتاب ٣٥٧/١.
٣ - سورة البقرة آية ٥١.
٤ - الحوفي: البرهان ١٧١/١.
٥ - سورة البقرة آية ٨٥.

﴿... وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ... ﴾والأصل يتمنون[1].

والحوفي في تعليله للإدغام قد اتفق مع السابقين عليه، ففي بيانه لإدغام لام التعريف يحدد أنها تدغم في ثلاثة عشر حرفا و هو متفق مع سيبويه إلا أن مكيا زاد حرفا حيث يقول : واعلم أن لام التعريف تدغم في أربعة عشر حرفا بلا اختلاف في ذلك[2]

والحرف الذي زاده مكي هو حرف الزاي، ولم ينص عليه الحوفي و تابع سيبويه في ذلك و علل الحوفي لهذا الإدغام بقوله: و أدغمت اللام لقربها منها و كثرة لام التعريف ومكي لا يتفق معه في ذلك: يقول و علة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم[3]

والحوفي بتعليله أدق من مكي فمخارج الحروف تتراوح بين طرف اللسان و وسطه أما التعميم بالفم فليس في هذا القول من الدقة مما يحدد مخارج هذه الحروف واحدة .

والحوفي في تعليله للإدغام في قوله تعالى :"ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ " يحدد أن الإدغام لا يتم إلا للحروف المتقاربة في المخرج يقول : من ادغم فلقرب المخرجين أبدل الذال تاء ثم أدغم التاء في التاء [4]

فمخرج الذال و التاء متقاربين من طرف اللسان، و يتفق مكي مع الحوفي في ذلك فمكي يقول: واعلم أن الإدغام لا يحسن في غير المثلين و يقوى إذا سكن الأول، و هو على ضربين ، أحدهما إذا كان الحرفان متقاربان في المخرج و الحرف الأول أضعف منم الحرف الثاني، فيصير بالإدغام إلى لفظ القوي . فذلك حسن جيد[5].

---

١ - آل عمران : من الآية ١٤٣ / الحوفي: البرهان ٦٧/٢.
٢ - مكي: الكشف ١٤١/١.
٣ - مكي: الكشف ١٤١/١.
٤ - الحوفي: البرهان ١٧٠/١.
٥ - مكي: الكشف ١٣٥/١.

و كذلك في " تظاهرون" فالإدغام يستوجبه قرب المخرجين حتى يكون عمل اللسان عملا واحداً.

و الحوفي يرد على بعض القراءات و لا يرتضيها ففي قوله تعالى﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (١)

يقول: قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ورش يَخَصِّمون " بفتح الياء و الخاء و تشديد الصاد و الخاء و تشديد الصاد غير أن أبا عمرو يختلس حركة الخاء (٢)، حمزة و قالون بإسكان الخاء غير أن حمزة يخفف الصاد، و قرأ عاصم والكسائي و ابن عامر بفتح الياء و كسر الخاء، فمن فتح و شدَّد الصاد فالأصل عنده يختصمون ألقى حركة التاء على الخاء و شدَّد و قلب التاء صادًا و ادغم الصادَ في الصادِ، ومن كسر الخاء و شدّد الصاد حذف الحركة من التاء و لم يلقها على الخاء وقلب التاء صاداً و أدغم الصاد في الصاد فالتقى ساكنان فكسر الخاء على أصل التقاء الساكنين، و من قال يخصمون بتخفيف الصاد أخذه من خصم يخصم كأنه قال يفعلون الخصومة و كأنه أراد يخصم بعضهم بعضا، و أما من سكن الخاء و شدّد الصاد فإنه يجمع بين الساكنين و هذا لا يجوز و لعل القارئ لما سمع حركة الخاء مختلسة على حد ما روي عن أبي عمرو ظن أن القراءة بسكون الخاء و كثيراً ما يقول القراء لمن يقرأ أسكن يريدون المبالغة في الاختلاس لعلمه أنه لا يقدر على الإسكان إنما يريد تمكين الاختلاس فيظن القارئ أنه يُسَّكن و لما يسكن و مثله ما تقدم في نِعمَّا على قراءة من يسكن العين ولا يجوز الجمع بين ساكنين في المدغم إلَّا فيما فيه حرف مد و لين

١ - سورة يس آية ٤٩.

٢ - يقول مكي عن معنى كلمة يختلس حركة الخاء: فأعطاهما حركة مختلسة أو مخفاة ليدل بذلك على أن أصل الخاء السكون، فيدل على أصلها أنه السكون نقص الحركة المختلسة و المخفاه حركة ناقصة ." الكشف عن وجوه القراءات ٢١٨/٢.

مثل دابةٍ و شابةٍ لما في حرف المد من اللين الذي يقوم مقام الحركة و مثل ذلك ما يروي عن أبي عمرو من الإسكان في بارئكم و إنما الإرادة بذلك الاختلاس (١)

فالحوفي لا يجوز قراءة من أسكن واتفق معه مكي يقول: وقد روي عن أبي عمرو أنه أسكن الخاء، و هو بعيد"(٢).

و إذا كان معنى الإدغام إدخال شيء في شيء، فمعنى: أدغمت الحرف في الحرف أدخلته فيه، فجعلت لفظة كلفظة الثاني فصارا مثلين(٣)

فالحوفي إنما أراد به قرب المخرجين ليكون عمل اللسان عملاً واحداً فيسهل بذلك النطق

رابعاً : تعليله الصوتي للإشمام:

و في تعليله للإشمام يبين الجانب الصوتي فيه، ففي قوله تعالى:" اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ".يقول قرأ بالسين في الصراط ابن كثير، وقرأ حمزة في رواية خلف عن سليم بين الصاد والزاي،و قرأ الباقون بالصاد، الحجة لمن قرأ بالسين أنه أصل الكلمة لأنه من "سرطته أسرطه إذا بلغته"، فهو طريق يمر عليه كما تمر لقمة البالع في حلقومه، ومن قرأ بالصاد فليؤخي منها و من الظاء فأبدل من السين حرفا من مخرجها مؤخيها للطاء ليتفقا بالإطباق و الاستعلاء، و من أشم و نحا نحو الزاي فلأن الزاي مجهورة و الطاء مجهورة وكل ذلك طلبا للمشاكلة ليكون عمل اللسان عملاً واحداً، و الاختيار الصاد لأن الحرفين المتشاكلين أحسن في المسموع من المتقاربين،و أيضا فإنه حكي أنها لغة قريش(١)

و في قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾(٤)

١ - الحوفي: البرهان ٤/٢٤.
٢ - مكي: الكشف عن وجوه القراءات ٢١٨/٢.
٣ - مكي: نفسه ١٤٣/١.
٤ - سورة البقرة آية ٢٤٤، ٢٤٥.

يقول: واختلفوا في يقبض و يبسط في البقرة و بسطه في الأعراف والمسيطرون و بمسيطر فقرأ أبو عمرو و يبسط بسطه بالسين و المصيطرون و بمصيطر بالصاد، فمن قرأ بالصاد أراد المؤاخاة بين الصاد و الطاء لأنهما مطبقتان، و من قرأ بالسين فعلى الأصل و من أشم و أراد المؤاخاة أيضا لشبع الزاي بالطاء بالجهر و الصاد والإطباق(١)

و هو بهذا يبين أن الإشمام إنما احتيج إليه طلبا للمشاكلة ليكون عمل اللسان عملا واحداً، ثم يحدد أن اختيار الصاد أحسن في المسموع من المتقاربين لأنهما حرفان متشاكلان لأنهما أخف على اللسان، لأن الصاد حرف مطبق كالطاء فيتقاربان وتحسنان في السمع ، والسين حرف مهموس فهو ابعد من الطاء(٢).

على هذا المنوال عالج الحوفي الجانب الصوتي في القراءات :

١. فحدد الإمالة، فالإمالة عنده إما لياء أو لكسرة أو لإتباع حرف لحرف ممال طلبا للمشاكلة.
٢. و أن المشاكلة عنده تعني المماثلة ليكون عمل اللسان عملا واحدا.
٣. و أن من خفف الهمزة ولم يحققها فقد قصد الاستخفاف لكثرته وكثرة الاستعمال .
٤. و أن الهمزة ثقيلة تخرج من الصدر باجتهاد فأتوا التخفيف لهذا.
٥. و أن الإدغام لا يتم إلا للحروف المتماثلة و المتقاربة في المخرج.
٦. و أن الإدغام يستوجب قرب المخرجين ليكون عمل اللسان عملا واحدا .
٧. و أن الإشمام إنما احتيج إليه طلبا للمشاكلة ليكون عمل اللسان واحدا .

و على ذلك تكون مقاييس القراءات القرآنية عند الحوفي :

أ- المشاكلة :

و تعني المماثلة أي تماثل حروف المخارج أو تماثل الصوتين و هذا يكون في الإمالة و الإدغام و الإشمام و علة ذلك أن يكون عمل اللسان عملا واحدا طلبا للتخفيف و لأن الحرفين المتشاكلين أي المتماثلين أحسن في المسموع من المتقاربين.

---

١ - الحوفي: البرهان ٩٦/٤.
٢ - أبو علي الفارس: الحجة في القراءات ٢٦/١، ٣٧

ب. الرجوع إلى أصل اللهجة :

والحوفي بهذا الصنيع يرجع إلى أصل اللهجة فهو في تعليله للفتح والإمالة يقول : والأصل الفتح وهي لغة قريش، والإمالة فرع وهي لغة تميم .

ج. الخفة :

و من مقاييس القراءات عنده التخفيف و يكون ذلك في عدة أمور :

١. إذا كان عمل اللسان عملا واحدا كان أيسر و أخف على اللسان لأنه لم ينتقل من حرف إلى حرف لأن الحرفين المختلفين يكونان من مخرجين مختلفين وهذا تثقيل على اللسان ، بينما الحرفان المتشاكلان فمخرجهما واحد وهذا أخف على اللسان .

٢. أن تخفيف الهمز طلبا للاستخفاف لأن الهمزة ثقيلة تخرج من الصدر باجتهاد فإذا خففت كان خفيفة على اللسان .

د. الكشف عن المعنى:

والحوفي لم يقتصر تخريجه للقراءات على الجانب الصوتي فقط، بل جاء تخريجه للقراءات كاشفا للمعنى و مبينا له، ففي قوله تعالى﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗا ﴾ (١).

يقول قرأ ابن كثير و أبو عمرو:" يجلعونه قراطيس يبدونها و يخفون كثيرا بالياء في جميعه، الباقون بالتاء، فوجه الياء ذكر اليزيدي عن أبي عمرو قال يعني أهل الكتاب و علمتم ما لم يعلموا يعني المسلمين، لأن العرب لم يكن لها قبل ذلك كتاب فاختار أبو عمرو ذلك لمجيئه بعد الناس المخبر عنهم ، يقول﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ (٢) يعني اليهود فجعل الفعل لهم لقربه منهم، و وجه التاء أن قبله " قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ..." (٣) فأمر الله نبيه

١ - سورة الأنعام آية ٩١.
٢ - سورة الأنعام آية ٩١.
٣ - سورة الأنعام آية ٩١.

محمداً صلى الله عليه وسلم أن يسألهم مخاطبا لهم ثم ختم الكلام أيضا بمخاطبته لهم في قوله (...وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُم...) [1]. وعلمتم فيما أنزله عليكم في الكتاب فأجرى ما توسط من ذلك مجرى ما قبله وبعده ليكون على سياق واحد [2].

والحوفي بهذا يوجه المعنى على حسب القراءة فمن قرأ بالياء كان المَعْنِيُّ بذلك أهل الكتاب ومن قرأ بالتاء كان المَعْنِيُّ المسلمون، وتخريج الحوفي للقراءات وتوجيهها للمعنى كثير[3].

والحوفي ببراعته النحوية يوجه القراءات حسب مقتضيات النحو ليكشف المعنى في صورة جلية واضحة، ففي قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [4]

يقول قرأ نافع وابن عامر فدية طعام مساكين" بترك التنوين في فدية وخفض طعام وجمع مسكين، والباقون بتنوين فدية ورفع طعام وتوحيد مسكين، فمن نون ابدل الطعام من فدية ووحد مساكين لأن المعنى: لكل يوم طعام واحد منهم ومن أضاف فدية ولم ينون فلإبهام الفدية لأنها تقع الطعام وغيره فإضافتها إلى الجنس كإضافة نون خمسين ومائة[5]

وقد تقدم القول في تطوع بالتاء والياء، وتروي قراءتان شاذتان يُطَوَّقونه بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الطاء والواو بمعنى يتطوقونه وأدغم التاء في الطاء[6]

وهو في توجيهه للقراءات حسب مقتضيات النحو يستدل بآيات من القرآن تأكيدا لكلامه وتقوية له، ففي قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ

١ - سورة الأنعام آية ٩١.
٢ - الحوفي: البرهان ٩٠/١٠.
٣ - راجع الحوفي: البرهان ٦٨/٣، ٧٥/٤، ١٣٠/٨، ٧٠/٩.
٤ - سورة البقرة آية ١٨٤.
٥ - أي إنهما لا يضافا إلى المفرد " راجع بن عقيل : ٤٠٦/٢.
٦ - الحوفي: البرهان ٦٤/٣.

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ (١)

يقول قرأ حمزة إلا أن يُخافا بضم الياء، الباقون بفتحها خاف فعل يتعدى إلى مفعول فإن أردت تعديته إلى مفعول ثان عديته بحرف الجر فقرأه الجماعة بالفتح أن و ما عملت فيه في موضع نصب بتأخذوا و قد تعدى إلى أن في قوله تعالى ﴿.....تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ.....﴾ (٢) .و قوله ﴿....أَمْ تَخَافُونَ أَن تَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ.... ﴾ (٣).

و إن أردت تعديته إلى مفعول ثان بغير حرف الجر ضعفت العين، كما قال عز و جل ﴿.... تُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ.... ﴾ (٤)

أي يخوف المؤمنين أولياءه فحذف المؤمنين ، أن يخافا على قراءة حمزة في موضع جر على قول الخليل و الكسائي لأن حرف الجر مراد على قول سيبويه و غيره في موضع نصب، ثم جعل الفعل و لم يسم فاعله فصار المنصوب مرفوعا و مثل حذف حرف الجر و نصب المفعول قوله " استغفر الله ذنبا" أي من ذنب، فأما ما حذفت منه حرف الجر غير أن فإن الخليل و غيره لا يقول إنه في موضع جر، و إنما يقولان ذلك في أن لأنها تطول بالصلة فيحذف حرف الجر و هو مراد و في غيرها من المحذوفات إنما تحذف استخفافا فلا يراد هذا معنى قولهم (٥).

و الحوفي في توجيهه للقراءات حسب مقتضيات النحو يوضح الحكم الفقهي، ففي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (٦) يقول

١ - سورة البقرة آية ٢٢٩.
٢ - سورة الأنفال آية ٢٦.
٣ - سورة النور آية ٥٠.
٤ - سورة آل عمران آية ١٧٥.
٥ - الحوفي: البرهان ٥٢/٤.
٦ - سورة المائدة آية ٦.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزة و أبو بكر عن عاصم :" و أرجلكم" بالخفض الباقون بالنصب فالنصب على التقديم و التأخير و التقدير : فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و أرجلكم إلى الكعبين و امسحوا برؤوسكم ، و الخفض بالعطف على الرؤوس فيكون المراد بالمسح الغسل حُكِيَ ذلك عن أبي زيد و منه تمسحت للصلاة و حُكِيَ في بعض التفاسير فطفق مسحا بالسوق و الأعناق" أنه غسلها من الغبار فالمسح يتوجه إلى وجهين أحدهما الغسل كما ذكرنا و الآخر إمرار اليد على الموضع، و يؤكد معنى الغسل إذ قريء بالخفض أنه محدود كما حُدَّت الأيدي ولو كان المراد به المسح كان غير محدود في نظيره و امسحوا برؤوسكم و لم يحدد ذلك كما حددت الأرجل و كذلك ما جاء في المسح في أرجلهم كان غير محدود و يجوز أن يكون ذلك يدا على المخفوض المراد به الغسل أن يكون في الكلام حذف دل عليه التحديد كأنه " و أرجلكم غسيلا كما قال:

ياليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا

و كذلك قوله : علفتُها تِبناً و ماءً بارداً

أي و سقيتها ماء باردا ، و يؤكد الغسل أيضا أن النبي صلي اللّه عليه وسلم غسل قدميه و في ألفاظه صلي اللّه عليه وسلم إذا غسل قدميه خرجت الخطايا من قدميه [1].

و الحوفي على هذا المنوال في معالجاته لجانب القراءات و تخريجاته النحوية لها والأمثلة على ذلك كثيرة [2].

و لما كان الوقف ركنا مهما من أركان القراءات فلقد عُنِيَ به الحوفي عناية فائقة فبعد أن خصص جانبا مستقلا عالج فيه القراءات القرآنية أفرد لكل آية من آيات النص القرآني مبحثا مستقلا عالج فيه الوقف و التمام و لقد بيَّن أركان الوقف في أول آية تناوله

١ -. الحوفي: البرهان ١٣٠/٨.

٢ -. الحوفي: نفسه٥٧/١، ١٣٦، ١٥٩، ١٨٧، ٦٠/٢، ١٠٦، ١٢٤، ٢/٣، ٤، ١٧، ٢٩، ٧٨، ٥٢/٤، ٦٤، ٧٥، ٩٦، ١٠٩، ١١٢، ١٢١، ٢١/٨، ٤٤، ٤٨،٥٣، ٦٣، ٤٤/٩، ٤٨، ٥٣، ٦٣، ٦/١٠ ٢٠، ٢٣، ٣٠، ٣٣، ٥٣، ٥٧، ٨٣، ٩٨، ١١٠، ٣٥/١٢، ٢٦، ٣٨، ٥/٢٨، ١٩، ٢١.

بالشرح و التفسير ثم طبق ذلك على بقية آيات النص القرآني جامعا في كل ذلك بين ما جاء في أقوال العلماء حول أنواع الوقف و بين تعليلاته لتلك الأقوال ، ففي قوله تعالى (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)[1] يقول الوقف على مالك يوم الدين حسن و هو التمام الثاني من هذه السورة على قوله من عد(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)آية و هو الأول على قول من لم يعدها آية من الحمد و الوقف و هو القطع على آخر كلام من حمل مفهومه و نظيره القطع و السكت و الفصل و نقيض الوقف الدرج و نقيض القطع الوصل و نقيض السكت الحركة للكلام و نقيض الفصل الوصل و الحاجة إلى الوقف الراحة عند انقطاع النفس و هي حاجة ضرورية إذ لا يمكن امتداد الصوت إلى الخروج عن العادة و هو ينقسم أربعة أقسام: تام و حسن و كاف و صالح، فالتام هو الكلام المفيد المعنى على الصحة من غير تعلق بما بعده من زيادة فائدة و قال بعضهم التام ما يوقف عليه و يحسن الابتداء بما بعده من غير تعلق بغيره كقوله عز و جل (أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)[2] والحسن كل كلام أفاد وأدى المعنى على الصحة واتصلت به زيادة فائدة على المعنى الأول كقوله عز و جل(خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ...)[3] و إلى هذا المعنى أيضا يؤول معنى الكافي و الصالح يقارب هذا أيضا غير أنه قد عطف عليه ما يحسن الابتداء به و لكنه له به متعلق لا يتم معنى الأول إلا به. الحسن ما تم كلام وأدى المعنى على الصحة و لكن في المعطوف عليه زيادة فائدة المعنى الأول [4].

١ - سورة الفاتحة آية ٢.
٢ - سورة البقرة آية ٥.
٣ - سورة البقرة من آية ٧.
٤ - الحوفي: البرهان ١٤/١ – ١٥ .

والحوفي بهذا قد بيَّن لنا معنى الوقف بأنه القطع وبيَّن فائدته وهي الراحة عند انقطاع النفس، وبيَّن أنواعه في قول وجيز دال دون إطالة كصنيع ابن الجوزي (١) والزركشي (٢)، السيوطي (٣)، وغيرهم ممن تكلم في هذا الفن.

وكما قلنا فإن الحوفي قد طبق ذلك على النص القرآني فلم يترك آية إلاَّ وبيَّن فيها الوقف والتمام وأقوال العلماء في ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة (٤).

ففي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ (٥) إلى قوله تعالى﴿ .... وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ.... ﴾(٦)

يقول قال أحمد بن جعفر ظن الجاهلية تمام، وقال غيره هل لنا من الأمر من شيء وقولُهْ " كله لله " حسن، كذلك ما قتلنا هاهنا وكذا إلى مضاجعهم والتمام " والله عليم بذات الصدور"(٧).

١ - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ له كتاب " فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن " مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢ تفسير تيمور.
أفرد ابن الجوزي في كتابه بابا في ادب الوقف و الابتداء بيَّن فيه أنواع الوقف و توسع فيه – مع ذكر أمثله " راجع المخطوط ٤٣" و هو بهذا الصنيع لم يبيّن مواضع الوقف في آيات القرآن الكريم فجاء صنيعه تنظيرا لا تطبيقا .

٢ - الزركشي: الإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشي ت ٧٩٤ هـ و كتابه البرهان في علوم القرآن . أفرد للوقف النوع الرابع و العشرون و قسمه إلى أقسام و أنواع و فصول و توسع فيه تنظيرا دون أن يعرض ذلك على آيات القرآن " البرهان ٣٤٢/١- ٣٧٥".

٣ - جلال الدين السيوطي: كتابة الإتقان في علوم القرآن أفرد للوقف و الابتداء النوع الثامن و العشرون و توسع فيه تنظيرا دون التطبيق " الإتقان ١٠٩/١- ١١٨ " .

٤ - راجع ملحق الرسالة نماذج من صنيع الحوفي في الوقف و التمام .

٥ - سورة آل عمران آية ١٥٤ .

٦ - سورة آل عمران آية ١٥٤ .

٧ - الحوفي: البرهان ٧١/٦.

القسم الثاني
عناية الحوفي بالاشتقاق و التصريف اللغوي لظاهرة لغوية

كانت عناية الحوفي بالجوانب الاشتقاقية و التصريفية لا تقل أهمية عن باقي الجوانب و المباحث اللغوية التي تعرض لها في تفسيره، فهو كما بيَّنا في القسم الأول بيَّن الجوانب الصوتية في القراءات القرآنية و علَّل لكل جانب لإمكان النطق السليم لكل كلمة خوفا من اللحن في قراءات القرآن و طمعا في تقويم اللسان و في هذا القسم أراد الكشف عن المعنى و إبراز المدلول اللغوي لكل كلمة من خلال معرفة أصول الكلمات و فروعها و العلاقات بينها و طرق صوغ بعضها من بعض و في هذا يستفاد من علم الاشتقاق، إذ يَعَدّ علم الاشتقاق من أعمق علوم اللغة العربية بجذورها (١)

و لقد اجمع أهل اللغة – إلا من شذَّ منهم – أن للغة العرب قياساً، و أن العرب تشتق بعض الكلام من بعض . و اسم الجن مشتق من الإجتنان و أن الجيم و النون تلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع جُنَّة ، و أَجَنَّه الليل و هذا جنين ، أي في بطن أمه، و أن الناس من الظهور يقولون " آنست الشيء "؛ أبصرته و على هذا سائر كلام العرب (٢) هذا كما يُعَدُّ القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها علم الصرف و علم النحو و التي لا يستند بناء علم اللغة إلا على أساسها، لأن موضوعه الكلمة من حيث أصلها و ما تفرع منها، و التي هي المادة الأساسية لسائر علوم اللغة (٣) و لهذا قالوا إن مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة، و انتساب بعض إلى بعض على وجه كلي، إن كان في الجوهر فالاشتقاق و إن كان

١ - محمد صديق خان : العلم الخفاق من علم الاشتقاق
٢ - السيوطي: المزهر ٣٤٥/٢.
٣ - محمد صديق خان: السابق ٦.

في الهيئة فالصرف، فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة و أن الاشتقاق واسطة بينها ، ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف، و تأخيره عن اللغة في التعليم (١)

و لما كانت مباحث الاشتقاق تدور حول الكلمة من حيث أصلها و ما تفرع منها آثرنا أن نبدأ به

أ- المباحث الاشتقاقية عند الحوفي :

لم يقصد الحوفي برصده لتلك المباحث التنظير أو التقعيد بل قصد التطبيق مباشرة فهو كعالم لغوي تنبه إلى رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها، حيث ردَّ كل كلمة إلى أصلها اللغوي للتعرف على مدلولات الألفاظ.

ولكي نقف على قصد الحوفي لابد لنا من ذكر أمثلة مما جاءت في تفسيره. ففي قوله تعالى(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)، يقول في اشتقاق اسم قولان : أحدهما؛ أنه من سما يسمو إذا علا و ارتفع. والثاني : أنه من السمة و هي العلامة و هذا خطأ لأنك إذا جمعته قلت أسماء فتزد لام الفاعل و كذلك تصغيره " سُمَّى" ولو كان من السمة لقلت في تصغيره " وُسَيّم" كما تقول في تصغير عده " وعيده" و لا تدخل ألف الوصل على ما حذفت منه الفاء كالزنه و ما أشبه ذلك .

والناقص من اسم موضع اللام تشبها بما حُذِف من الفعل إذا كان الاسم إلى الفعل اقرب من الحرف، و فيه أربع لغات: إسم بكسر الهمزة، و اسم بضمها و اسم بكسر السين و سُم بضمها، يقال:

باسمِ الذي في كُلِّ سورة سمه ★★★★ قد وردت على طريق تعلمه

و كذلك قوله:

و اللّه أسماك سُمىً مباركا ★★★★ آثرك اللّهُ له إيثاركا(٢)

١ - محمد صديق خان: السابق ٦٨.
٢ - البيت من الرجز المشطور يقول بن خالد القناني:
راجع الإنصاف في مسائل الخلاف ١٥/١، اللسان : مادة "س َ م َ و ".

ووزن " اسم" فِعْل و جمعه أسماء لقولك: قنو إقناء، و حنو و إحناء، و لا يصلح أن يكون فعلا لأن جمع فِعْل أفعل، و الاسم كلمة تدل على معنى دلالة إشارة دون الإفادة دون الإشارة، و قيل الاسم يدل على معنى في نفسه مفرد من الزمان المختص، و الفعل يدل على المعنى و زمان مختص، و الحرف من كان معناه في غيره مما عناه فيه و ذكر أبو عبيدة أن اسم الشيء هو الشيء بعينه و أنشد:

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما ** و من يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر(١)

يريد ثم السلام عليكما، و منه قوله تعالى ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ...﴾ (٢) بمعنى سبح ربك، وكذا قوله﴿ .....بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٣) و قوله﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ.... ﴾ (٤) وقولـــــــه ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ....﴾ (٥)

و تقول ضرب زيدٌ عمراً، تريد المسمى ضرب المسمى، و قد تريد الاسم التسمية كقولك: سميته بزيد أي وسمته بهذه العلامة و أوضحته بها فهذا بحسب قصد القاصد في إرادة التسمية و المسمى فإذا قلت سميته زيداً فمعناه جعلته يدعى زيداً، قال سيبويه ثم تقول عرفته بزيد فهو سوى ذلك المعنى يريد في دخول الباء السمة بالعلامة و الايضاح له بهذه التسمية و سميته زيداً أي جعلته يدعى زيدا فهو سوى ذلك المعنى (٦).

و الحوفي بهذا القول يخطئ المذهب الكوفي (٧) القائل بان اشتقاق الاسم من السمة و يبيِّن سبب خطأ هذا القول و يأتي بالأدلة و البراهين على صحة القول الأول، ثم

١ - البيت للبيد بن ربيعة. راجع ديوان القصيدة ٢١. و الحول السنة الكاملة .
٢ - سورة الأعلى آية ١.
٣ - سورة الواقعة آية ٧٤.
٤ - سورة المائدة آية ١٧.
٥ - سورة يوسف آية ٤٠.
٦ - الحوفي: البرهان ٤٠٢/١ .
٧ - المذهب الكوفي القائل: أن الاسم مشتق من الوَسم – و هو العلامة- و احتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة" أبو البركات الأنباري: الإنصاف ٦/١."

يفرّق بين الاسم ككلمة تدل على معنى دلالة إشارة دون الإفادة و بين الاسم المراد به التسمية و يؤيد المذهب البصري (١) القائل بأن الهمزة في أول الاسم همزة التعويض إنما تفتح تعويضاً عن حذف اللام لا عن حذف الفاء، لأن القياس فيما حذف منه لامه أن يُعَوَّض بالهمزة في أوله، و فيما حذف منه فاؤه أن يُعَوَّض بالهاء في آخره، و الذي يدل على صحة ذلك أنه يوجد في كلامهم ما حذف فاؤه و عوض بالهمزة في أوله (٢).

فإذا انتقل إلى بيان اشتقاق اسم الله زاد الأمر وضوحا يقول: زعم سيبويه أن الأصل" إلاه" على وزن " فِعال" و لكنهم حذفوا الهمزة لكثرة الاستعمال و عوضوا منها الألف و اللام عوضا لازما فصارت الألف و اللام بمنزلة شيء من نفس الحرف لا يفارقان الاسم و إلاه مستعمل في الكلام قال الله عز و جل:" ... نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ..."(٣) في إضافة الألف و اللام فيه بمنزلتهما في الرجل لأنهما قد يفارقان الرجل فتقول" رجل" و لا يكون مثل هذا في اسم الله عز و جل ، و قيل الأصل " لاه " وينشد:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ فِي حسبٍ ** عني و لاَ أَنتَ دَيَانِي فَتَخْزُونِي (٤).

أي و لا أنت مالك أمري فتسوسني و الإلاه المستحق للعبادة و قيل هو القادر على ما تحقق به العبادة، و قد قلنا إن الألف و اللام في اسم الله عوض لازم من الهمزة المحذوفة و نظير حذف الهمزة من هذا الاسم حذفهم إياها من أناس، و ندخل الألف و اللام فنقول الناس " و ليست الألف و اللام في الناس بعوض و لو كانتا عوضاً لثبتتا كما ثبتتا في اسم الله و لم تحذفها و الدليل على أنها ليست بعوض قول الشاعر:

إن المنايا يَطَّلِعْنَ على الأناسِ الآمنينا

١ -. أبو البركات الأنباري: نفسه ٨/١-٩.
٢ -. أبو البركات الأنباري: نفسه ٩/١.
٣ -. سورة البقرة آية ١٣٣.
٤ -. البيت لذي الإصبع – حرثان بن الحارث بن محرث – العدواني – شرح بن عقيل ٢٣/٢

فلو كانتا عوضا من الهمزة لما جاز إثباتهما مع وجود الهمزة لأن العوض والمعوض منه لا يجتمعان(١).

والحوفي بهذا القول يؤيد قول سيبويه من أن اسم الله مشتق من إلاه وليس من لاه. وقول الحوفي قريبٌ من قول ابن جرير الطبري حيث يقول: فكذلك" الله " أصله لاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى التي هي عين الاسم فصار في اللفظ لاما واحدة مشددة(٢).

وفي اشتقاق " الرحمن الرحيم" يقول : هما مشتقتان من الرحمة إلا أن فعلان أشد مبالغة عندهم من فعيل، وأصل الرحمن النعمة من قوله:﴿ ....هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي.... ﴾ (٣) أي نعمة ولا يجوز أن يكون أصل الرحمة الرقة، وتقول " رَحِمَه " أي استقصى علاجه أي أحسن إليه وانعم عليه ولو رَقَّ عليه لم يعالجه وأبتدئ بذكر الرحمن على الرحيم لما فيه من المبالغة مع أنه صار كالعلم إذا كان لا يوصف به إلا الله عزوجل، وما كان من الأسماء أعرف أن فسبيله أن يبدأ ثم تبع الأنكر، وقيل قدم الرحمن على الرحيم من جهة التنزيل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت﴿ .... بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٰىهَا.... ﴾ (٤) فكتب بسم الله ثم نزل﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ.... ﴾(٥).فكتب بسم الله الرحمن ثم نزل فكتبها ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (٦)

---

١ - الحوفي: البرهان ٢/١ – ٥ .
٢ - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢٥/١، ١٢٦ .
٣ - سورة الكهف آية ٩٨ .
٤ - سورة هود آية ٤١ .
٥ - سورة الإسراء آية ١١٠ .
٦ - الحوفي: البرهان ٢/١ – ٣ .

ولعل ابن جابر الطبري في تعليله لتقديم اسم الله علي الرحمن و تقديم الرحمن على الرحيم أو في من الحوفي، فالطبري يقول فبدأ الله جل ثناؤه باسم الذي هو " الله " لأن الألوهية ليست لغيره جل ذكره من وجه من الوجوه لا من جهة التسمي به و لا من جهة المعنى و إن التسمي به قد حرمه الله جل ثناؤه أو لا ترى أن الله جل جلاله قال في غير آية من كتابه :" أَإِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ "(١) فاستكبر ذلك في المعربة ، وقال تعالى في خصوصة نفسه بالله و بالرحمن﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ... ﴾ (٢) ثم ثنّى باسمه الذي هو الرحمن، إذا كان قد منع أيضاً خلقه التسمي به. وغير جائز أن يستحق بعد الإلوهية أحد دونه فلذلك جاء الرحمن ثانيا لأسمه الذي هو الله و أما اسمه الرحيم فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به فكان واقعا من مواقع نعوت الأسماء اللواتي من توابعها (٣).

وعلى ذلك فقول الحوفي الأعرف و الأنكر لا وجه له، لأن أسماء الله جل ثناؤه لا يصح أن يطلق عليها لفظ الأنكر.

و في ترجيح الحوفي لبعض المذاهب و تخطئته لبعضها هدف إلى تحليل المادة اللغوية و بيان الأصول المشتقة منها، و هو لا ينسى أن للمشتق شروطا :

أحدها: أن يكون له أصل، فإن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر. و لو كان أصلا في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقا.

ثانيهما: أن يناسب المشتق الأصل في الحروف، إذا الأصالة و الفرعية باعتبار الأخذ لا تتحققان بدون التناسب بينهما، و المعتبر المناسبة في جميع الحروف الأصلية فان

١ - سورة النمل آية ٦٠ ، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤ .
٢ - سورة الإسراء آية ١١٠ .
٣ - ابن جرير الطبري: السابق ١٣٣/١ .

الأستسباق من السبق مثلا يناسب الاستعجال من العجِل في حروفه الزائدة والمعنى وليس بمشتق منه بل من السبق.

ثالثهما: المناسبة في المعنى سواء لم يتفقا فيه أو اتفقا فيه (١).

والحوفي يرجع رأيا و يأخذ به ثم يعرض للرأي الآخر تاركا للقارئ حرية الاختيار و يرجع الاشتقاق للميزان الصرفي ففي قوله تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

يقول: في اشتقاق الناس: والأصل في الناس الإناس ثم حذفوا الهمزة :

إنّ المَنَايَا يَطَّلِعْنَ عَلَى الأُنَاسِ الأَمَانِيّا

و إنسان في اشتقاقه قولان أحدهما أن يكون من نسي، والآخر أن يكون من الأنس كان وزنه عنده فعلان و من أخذه من نسي كان وزنه إفعلان إلا أن اللام حذفت و الأصل إنسيان و إن لم يتكلم به و دليله تصغيره إنسيان قال سيبويه: وليس يتكلم به يعني الأصل، و قالوا في الجمع أناسي بالتشديد والتخفيف، فمن قال إنه من نسي كان وزنه فيمن شدده أفاعيل، و من خفف أفاعل، و من أخذه من الأنس كان وزن التشديد فعالي و من خفف فعالي، قد قال قوم إن الناس ليس بمحذوف منه الهمزة و أن أصله ناس و صغروه" نويس" فكأنه أن هؤلاء من ناس ينوس نوسا وهو تحرك الشيء في الهواء كنوس القرط المعلق في الأذن (٣).

فالحوفي إذن يرجح المذهب القائل بأن الأصل في الناس الأناس. و هو قول أبي الهيثم في رواية المنذري ، والأزهري لم يرتضِ هذا التعليل يقول : و هذا الذي قاله أبو الهيثم تعليل النحويين، و إنسان في الأصل إنسيان و هو" فعليان" ، من الأنس والألف فيه فاء

١ - محمد صديق خان: السابق ٧٧.
٢ - سورة البقرة آية ٨.
٣ - الحوفي: البرهان ٥٠/١.

الفعل ... والجوهري ينتصر للمذهب الأول يقول: وتقدير إنسان " فعلان" وإنما زيد في تصغيره ياء كما زيد في تصغير رجل فقيل : رويجل . والأناس لغة في الناس، قال سيبويه والأصل في الناس الأناس مخففا فجعلوا الألف واللام عوضا عن الهمزة(١).

وكذلك في اشتقاق آدم في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢) يقول في اشتقاق آدم قولان أحدهما: أنه مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها، وإذا سميت به من هذا امتنع من الصرف في المعرفة فإن نكرته انصرف بإجماع، والقول الآخر : أنه مأخوذ من الأدمة وهي اللون الذي يقارب السواد ، والأصل فيه الإبل والظباء بياض ، وإذا كان من الأدمة كان صفة ، فان سميت به امتنع من الصرف في المعرفة فان نكرته لم ينصرف علي مذهب سيبويه وانصرف علي مذهب الأخفش ، الأصل فيه أأدم بهمزتين إلا أن العرب لأتجمع بين همزتين في كلمة واحدة فخففوا الثانية فصارت مدة وإذا جمعته وهو اسم قلت أدمون وإن شئت أودام كما تقول: أحمد وأحامد وان جمعته صفة قلت أُدْم كما تقول :حمرْ في جمع أحمر (٣).

ولما كان الغرض من الاشتقاق تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب علي وجه الصواب (٤). وكانت غايته الاحترز عن الخلل في الانتساب (٥).ولهذا جاءت عناية الحوفي بالاشتقاق وصولا لهذا الغرض وتحقيقا لتلك الغاية ، إذ أن معرفة أصل الكلمة والمادة المشتقة منها يأمن الالتباس ويؤدي إلي المعني المنشود .

فنراه في قوله تعالي (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ...)(٦)

---

١ - ابن منظور: لسان العرب - مادة أنس ١٤٧.
٢ - سورة البقرة آية ٣١.
٣ - الحوفي : البرهان ١١٨/١،١١٧.
٤ - محمد صديق خان:العلم الخفاف ٩٨.
٥ - محمد صديق خان:نفسه ٩٨.
٦ - سورة البقرة آية رقم ٦.

يقول : وأصل الكفر الستر ، قال لبيد بن ربيعة :

تعلُو طريقةَ متنها متواترًا ★★★★ في ليلةٍ كفرَ غمامها

أي سترها وغطاها ، ويسمي الزراع كافراً لأنه يستر الحب ، ويقال كفر النعمة إذا سترها بجحوده لها (١).

فلما كشف لنا المعني عن أصل الكلمة برز لنا المعنى و أصل الكلمة إنما يختص به علي الاشتقاق ، ففي قوله تعالي ﴿.... وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ....﴾ (٢)

.. يقول : الشيطان مشتق من الشطن وهو البعد وقيل هو من الشيط وهو الاحتراق فإذا كان من الشطن كان وزنة "فيعالا" وان كان من الشيط كان "فعلان" (٣) فالحوفي يستخدم الميزان الصرفي ليكشف عن أصل الكلمة ،وهو كثيرا ما يعتمد على الجانب الصرفي للوصول إلى الكلمة ففي قوله تعالى(... إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ...) يقول: هو لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة ومن قال أن إبليس مأخوذ من الإبلاس وهو المباعدة من رحمة الله وإنه عربي وانه إنما امتنع من الصرف لأنه أشبه الأعجمي من حيث إنه له نظير في الأسماء العربية فقد غلط لان نظيره "إزهيل" اسم للشفرة "وإعريض "اسم للطلع وإحريض" اسم صبغ أحمر وسيف إصليت (٤).

وفي قوله تعالى﴿....ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ....﴾ (٥) يقول : وهي مشتقة من مصرت الشاة امصرها مصرا إذا حلبت كل شيء في ضرعها فقيل : سميت مصر لاجتماع الخير فيها كاجتماع اللبن إذا حلب ، وقيل : إن المصر الحد بين الأرضين ، وان أهل هجر يكتبون

١ - الحوفي : البرهان ٤٥/١.
٢ - سورة البقرة آية ١٤.
٣ - الحوفي: البرهان ٦٠/١.
٤ - الحوفي : نفسه ١٢٦/١.
٥ - سورة البقرة آية ٦١.

اشتري الدار بمصورها أي بحدودها ، قال عدي بن زيد [١].

وجعل الشمس مصرًا لاخفاءَ به **** بين النهار وبين الليل قد فصلا

فقيل مصر لأنها بين المغرب و المشرق و الحجاز و بلاد الروم [٢].

فالحوفي عن طريق ما كشفه من اشتقاق الاسم حدّد لنا المقصود من كلمة مصر.

وفي قوله تعالى(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ...)[٣]

يقول و النصارى جمع واحدهم نُصَّرَي كما تقول مُهْرَى و مهارى و يجوز أن يكون واحدهم نَصْران و نصرانه قال الشاعر : [٤]

فَكِلْتَاهُمَا حَرّت و أَسجَدَ رأسُه **** كما أَسْجَدَت نصرانةٌ لم تُحَنَّفِ

و قيل إنما سميت النصارى لان قرية عيسي عليه السلام كانت تسني ناصرة وكان أصحابه يسمون النصاريين ، وكان يقال لعيسي ناصري والنسب إلي ناصرة نَصْرَانِي علي غير قياس ويجوز أن يكون نصراني مشتقا من النصر والتناصر وهو التعاون [٥] والحوفي بقوله الأول متفق نع سيبويه ، وبإجازته للقول الثاني الذي وافقه عليه ابن سيدة يقول ابن منظور :قلت نصارى كما قلت ندامى ، فهذا أقيس [٦].

وفي قوله تعالي﴿ ....وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ.... ﴾[٧] يقول والمسكنة من السكون وكأنها خشوع الفَاقَة أي قللت حركاتهم ، روي عن أبي العالية

---

١ - ذكر ابن منظور أن هذا البيت من قول أمية يقول :والمصر الحاجز والحدّ بين الشيئين ، فال أمية يذكر حكمة الخالق تبارك وتعالي : وجعل الشمس مصرًا الإخفاءَ به ******* بين النهار وبين الليل قد فصلا.
قال ابن بري : البيت لعدي بن زيد العبادي راجع ابن منظور :اللسان مادة " مَصَرَ " و ما قال به ابن منظور من أن ابن بري هو الذي نسب البيت إلى عدي بن زيد غير دقيق ، فالذي قال بذلك الحوفي في تفسيره راجع الحوفي: البرهان ١٩٥/١" .

٢ - الحوفي : البرهان ١٩٥/١" .

٣ - سورة البقرة آية ٦٢ .

٤- ذكر ابن منظور: أن هذا البيت لأبي الأخرز الحماني، يقول قال أبو إسحاق: واحد النصارى في احد القولين نَصْران كما نرى مثل ندمان و ندامى و الأنثى "نصرانة " مثل ندمانة و أنشد لأبي الأخرز الحماني يصف ناقتين راجع ابن منظور : اللسان – مادة نَصَرَ .

٥- الحوفي البرهان ٢٠١/١. .

٦- ابن منظور :اللسان "مادة نَصَر" .

٧- سورة البقرة آية ٦١.

والسدي وابن زيد هي خشوع الحاجة والفاقة وذلها و هذا في اليهود الذين كانوا بعد موسى لأنهم كفروا وبدلوا وغيروا وقتلوا الأنبياء فأخبر الله عز وجل أنه أبدلهم بالعز ذلاً وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا ، وفرق قوم بين الفقر والمسكنة وإن كانت كل واحدة منهما علي معنى الأخرى للتقارب والتسمح وهذا كثير ما يقع في اللغة تجعل الشيء مكان مقاربه قالوا فالمسكين الذي لاشيء ، واحتجوا بقوله ﴿.... فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ.... ﴾ (١)، قالوا الفقير الذي لاشيء له، وقال جمهور أهل اللغة فالمسكين الذي لاشيء له مأخوذ من السكون ويحتج قائلوا هذا مع الاشتقاق بقول النبي صلي الله عليه وسلم " إن المسكين ليس بالطواف الذي التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غناءً يغنيه و لا يسأل الناس إلحافاً"(٢)، فهو يربط بين الاشتقاق وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ليصل إلى المعنى.

وهو بالاشتقاق يكشف المعنى ففي قوله تعالى﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

يقول: جبلا نصب بأضلَ كثيراً نعت لجبلا يقرأ بضم الجيم وسكون الياء وتخفيف اللام وبكسر الجيم وبتشديد اللام وبضمها وتخفيف اللام، فالضم جمع جبيل وجبيل معدول من مجبول، فقتيل وصريع والإسكان على هذا الاستثقال الضمتين والتشديد على جمع جبلة وهو مشتق من جبل الله الخلق أي خلقهم(٤)، ولهذا جاءت عناية الحوفي بالاشتقاق وصولا لهذا الغرض إذ أن معرفة أصل الكلمة والمادة المشتقة منها يأمن اللبس ويؤدي إلى المعنى المقصود.

١- سورة الكهف آية ٧٩.
٢- الحوفي: البرهان ١ /١٩٨، ١٩٩.
٣- سورة يس آية ٦٢.
٤- الحوفي: البرهان ٢٤ /١٩.

ب- التصريف عنده :

الصرف أو التصرف – لغة – هو التغيير و التحويل من وجه لوجه أو من حال لحال.... و للصرف – اصطلاحا – معنيان: أحدهما عملي و هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها كتحويل المصدر إلى اسمي الفاعل و المفعول و اسم التفضيل و اسمي المكان و الزمان و الجمع و التصغير والآلة. و الثاني علمي و هو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليس بإعراب ولا بناء.(١).

وعلي هذا فموضوع الصرف يشمل أبنية المفردات العربية وفي الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة من حيث البحث عن كيفية صياغتها لإفادة المعاني المختلفة، أو من حيث البحث عن أحوالها العارضة من صحة وإعلال ،وإبدال وإدغام ووقف ، ونحوها (٢) ومن هذا المنطلق ورغبة في الوصول إلى المعنى جاءت عناية الحوفي بهذا الجانب ولهذا يقول ابن جني نقلا عن المازني : التصريف : إنما ينبغي أن ينظر فيه من قد نَقَّب في العربية فان فيه أشكالا وصعوبة علي ما ركبه غير ناظر في غيره من النحو، وإنما هو الإدغام والإمالة القراء للقرآن (٣) كما يقول : والتصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة ، وبهم إليه أشد فاقة لأنه ميزان العربية ، و به تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ،و لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس ، ولا يوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف (٤) وعلى هذا فالحوفي علي مدي النص القرآني لم يترك كلمة سواء كانت اسما أو فعلا إلا بيَّن الأوجه الصرفية فيها ليصل إلى المعني المقصود ، فإذا مرت به شائبة تمنع من الصرف نبَّه عليها ، وسنقتصر علي ذكر بعض الأمثلة علي ما جاء في تفسير من معالجاته الصرفية

١- د. خديجة الحديثي: أبنية الصرف عند سيبويه ٢٣.
٢ - ابن جني : المصنف شرح تصريف المازني ٣٤٠/٢.
٣ - بن جني :نفسه ٣٤٠/٢.
٤ - ابن جني نفسه ٣/١..

١- بيانه من الممنوع من الصرف :

ففي قوله تعالي(لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)(١)

يقول : مواطن جمع موطن لا تنصرف لأنه ليس له مثال في الواحدة (٢) .وما قال به الحوفي وافقه علية ابن مالك وذكر، في علله التسع وشرحه ابن عقيل يقول :و إنما يمتنع الاسم من الصرف إذا وجد فيه علتان من علل تسع ، أو واحده منها تقوم مقام العلتين ، والعلل التسع يجمعها قوله :

عــدلُ ووصــفٌ وتأنيــثٌ ومعرفــةٌ **** وعجمــةٌ ثــم جمــعٌ ثــم تركيــبُ

والنــون زٰئــدة مــن قبلــها آلــفٌ **** ووزن فعلٍ ،وهذا القول تقريب (٣)

فلما اجتمعت في كلمة مواطن علة الجمع وأنها ليس لها مثال في الواحدة امتنعت من الصرف كما بيَّن الحوفي أن كلمة "حنين " تنصرف يقول :وصرف حنين لأنه اسم مذكر اسم لوادٍ بين مكة والطائف ومن العرب من لا يصرفه يجعله اسما للبقعة أو للبلدة ،وهذا الأسماء اعني أسماء البلدان إذا قصدت بها التأنيث لم تصرف (٤) .قال الأخطل :

كَــدَبَتْكَ عَيْنُــكَ أَم رأيــتَ بواســطٍ **** غلــسَ الظــلامُ مــن الربــابِ خيــالا

فصرف: وقال آخر فلم يصرف دابق :

لقــد ضــاع قــومٌ قلــدوكَ أمــورَهم **** بــدابقَ إذ قيــلَ العــدو قريــب

---

١ - سورة التوبة آية ٢٥.

٢ - الحوفي:؛ البرهان خ١١ بدون /مخطوط دار الكتب رقم ١٥٧تفسير –ومقصود الحوفي بذلك مصطلح "صيغة منتهي الجموع "

٣ - ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٣٢١/١.

٤ - ابن منظور :اللسان :مادة " وَسَطَ "يقول :وواسط :موضع بين الجزيرة ونجد يصرف و لا يصرف قال الجوهري: وواسط بلد بالصر الذي بناه الحجاج بين الكوفه والبصرة ، وهو مذكر مصرف لأن أسماء البلدان الغالب عليها التأنيث وترك الصرف ، الأ مني والشام والعراق وواسطًا ودبقًا وفلجًا وهجرًا فإنها تذكر وتصرف ، وقال : ولا يجوز أن تريد بها البقعة أو البلدة فلا تصرفه .

رأوا جسدا ضخما فقالوا مقاتل ولم يعلم أن الفؤد يخيب

وفي قولة تعالي : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا....﴾ (١)
يقول:غضبان لم ينصرف لأن فيه ألفا ونونا زائدين تشبهان حرفي التأنيث (٢)

٢- بيانه للمنصرف:

وكما قلنا إن الحوفي لم يترك كلمة علي مدار النصّ القرآني ألاّ بيَّنها من الوجهة الصرفية ليقف علي معناها ، وذلك لأهمية التصريف ، فبالتصريف يستقيم اللسان العربي ويجنبه اللحن فلاغني لعالم ولا لأديب عن دراسته ، وتفهم قضاياه حتى يستقيم لهما اللسان العربي ، وتتهيأ أداة البيان سليمة من الخطأ بريئة من اللحن ، وتتحقق لديهما القدرة علي صياغة مرادفات اللغة(٣) فإذا كان ذلك كذلك فأحوج ما يكون له لعالم التفسير أن يكشف لنا تلك الجوانب وبهذا تحصل الفائدة مركبة تعَلّم العربية من خلال فهم معاني أجل كتاب وأعظمه، وسوف نبيّن الطريق الذي سلكه الحوفي في هذا الجانب فإذا انتهينا من ذلك بيَّنا صنيعه هذا من خلال آية واحده كمثال علي ما نقول :ففي قولة تعالي﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾(٤) حلَّ يَحِلَّ حلالاً، وحلَّ يُحلُّ حُلُولاً و حلَّ العقدَ حلاًّ و أحلَه إحلالاً، و استحل استحلالاً، و تَحَلَّلَ تَحللاً، و احتلَّ احتلالاً و تحالوا تحالاَ و حالَّة محالةً، و حالةُ تحليلاً، و انحل انحلالا و حلَّ بالمكان إذا نَزَل به و حل الدين محلاً، و حلَّ من إحرامه و حل، و الحل الحلال و الحلال المباح، و يقال طابَ طيباً و استطابَه استطابةً،و طايبه مطايبة،وتطيَّب تطيباً و طيَّبه تطيبا،و الطيب الحلال و الطيب النظيف و الطهور من الطيب (٥)، فهو بهذا قد كشف عن المعنى بعد أن بيَّن الميزان الصرفي .

١- سورة الأعراف آية ١٥٠.
٢- الحوفي :البرهان ٢٣/٢١.
٣ - أحمد حسن كحيل : التبيان في تصريف الأسماء ص ١١.
٤ - سورة البقرة آية ١٦٨.
٥- الحوفي:البرهان ٣٤/٣.

وفي قولـــه تعـــالى﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١)، يقال : جَاعَ يجوعُ جوعاً و أجاعَهُ إجاعةً ، و جوَّعَهُ تجويعاً، تَجَوَّعَ تجوعاً ، ورجل جائع وجوعان، والجوع القحط يقول: لنختبركم بشيء ينالكم من عدوكم و بسنة تنالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم (٢)، كما بيَّن كلمة و" نَقَصْ " يقول : ويقال : نقصَ نقصًا وانتقص انتقاصاً ، وتنقص تنقصاً ، واستنقص استنقاصاً ، ونقصَّه تنقيصًا والنقصان الخسران (٣).

فبالتصريف يوقفنا على المعنى الدقيق للكلمة .

و في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (٤)

يقال كرَّ يكُرُّ كرًّا، و تكرَ تكرُّراً، و كرَّر تكْريراً و تِكرَاراً، والكرُّ نقيض الفرُّ و أصله الرد، يقال: كُرَّهُ علَّي أي رُدَّهُ. و يقال حِسَر عن ذراعهِ حسراً ، و انحسر انحساراً و حسَّرهُ تحسيراً، و تحسَّرَ تحسُّراً ، و حَسِر يحسْر حسرَة و حسراً إذا كمد على الشيء الغايب و حسرت الناقة إذا أعيت، و حَسِر البصرُ إذا كلَّ عن النظر، و حسر حسرةً و حسراً إذا ندم و قال مرار هو ابن منقذ العدوي :

مـــا أَنَـــا اليـــومَ علـــى شـــيء خـــلا **** يابنـــةَ القـــينِ تـــولى بحَسِـــر (٥)

أي تنادم، و أصل الحسر الكشف (٦).

١- سورة البقرة آية ١٥٥.
٢- الحوفي:البرهان ١٣/٣.
٣- الحوفي: نفسه ١٣/٣.
٤- سورة البقرة آية ١٦٧.
٥- ابن منظور: اللسان مادة "حسر" .
٦- الحوفي:البرهان ٣٢/٣.

و في قوله تعالى﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) يقول: يقال: حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا و محاضا و اسم المكان و المصدر قد يجيء على مَفْعِل و مَفْعَل قالوا: معيش و معاش ومكين و مكان ، و لم يجيء في الحيض إلا المحيض و لم يجيء المحاض لقلته و أنشدوا لرؤية :

إليك أشكو شدة المعيش **** و مرَّ أعوامٍ نتفنَ ريشي

و قال الراعي:

بُنيت مرافقهنَّ فوق مَزَلَّةٍ **** لا يستطيع بها القرار مقيلا

أي قيلولة:

و هي حائض و المرَّة حيضة حِيَض و حيضات و نساء حَيَّض و المستحاضة التي لا ير قادمها و يقال عَزَلَهُ يَعزِلُه عَزْلاً، و اعتزل اعتزالاً ، و عزَّله تعزيلاً، و الأعزل الذي لا سلاح معه، و عزلا المراد مخرجُ الماء من احد جانبيها و الجمع عَزْل و كل شيءٍ نحيته عن موضع فقد عزلتهُ و منه عزل الوادي و أنت عن هذا بمعزل أي بمنتحى (٢) وفي قوله تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ

١- سورة البقرة آية ٢٢٢.
٢. الحوفي:البرهان ٣٦/٤، ٣٧.

وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(١)

يقول مريد فَعِيل معدول من فاعل و أصله العُلُّو و العُتُّو، يقال: مَرَدَ يمرُدُ فهو مارد من قوله تعالى﴿... مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ... ﴾(٢)

و يقال: مَرِيدٌ متمردُ و منه:" صرح ممرد " أي مطول، و قد يراد به أيضا الأملس المجرَّد من قولهم شجرة مرداء و غلام أمرد .

و يقال مراد الغلام ممرد مروداً و مرادة إذا عتا و خرج عن الطاعة(٣) و هو على هذا الحال إذا عرض لكلمة من الوجهة الصرفية بيَّن جميع تخريجاتها في الميزان الصرفي ليصل كما بيَّنا إلى المعنى المراد، ففي كلمة " فليبتكن " يقول : و التبتيك التشقيق يقال بتكت الشيء إذا شققته أو قطعته أبتكه بتكاً و تَبَكْت الشيء أبتكته تبتيكا . وفي قوله " غرورا " يقول و الغرور إيهام النفع بما فيه الضر :

فقال غرَّهُ يَغُرُّهُ غُرورا، و اغتَّر اغْتِرَاراً تَغريراً و التغرير خلاف الحزم، و العُرَّةُ التي هي حد الشيء و عينه فهي السليمة من شائب العيوب الخالصة من الكدر،و غر الطائر فرخه يغره و هو اخلاصه له الطعام في خوصلته(٤).

و إذا كان التصريف هو ما يلحق الكلمة ببنيتها، فهو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني، و ينحصر في التصغير والتكسير، و المصدر و اسمي الزمان و المكان، و اسم الفاعل و اسم المفعول والمقصور و الممدود.

١. سورة النساء الآيات ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠.
٢. سورة التوبة آية ١٠١ .
٣. الحوفي:البرهان ٥٩/٨.
٤. الحوفي:البرهان ٥٩/٨، و الأمثلة على ذلك كثيرة ، راجع ١٩/١، ٢٠، ٢١، ٦٢، ٦٩، ٨٤، ٩٦، ٩٧، ١١٧، ١٩٥. ٣٤/٣ . ٦٤/٤. ١٢/٦. ١٦/٨ ، ٤٩. ٥/٩، ١٠، ١٢/١٠، ٩، ٢٢/١٢، ٢٣، ٣/٢٤، ١٩/٢٨

والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها، وينحصر في الزيادة، والحذف والإبدال والقلب، والنقل، والإدغام وإذا كانت فائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعريف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها(١)، ولذلك كان التصريف من أهم العلوم التي يحتاج إليها المفسر(٢).

ولذلك جاءت عناية الحوفي بهذا العلم لأهميته في فهم المعنى وهو في كشفه عن الوجوه الصرفية عند تفسيره للآية نصَّ على بنيتها ونكتفي بذكر أمثلة لما نص عليه فمما جاء من الصيغ عنده :

١. المصدر :

ففي قوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا.... ﴾ (٣)، يقول: وجهة مصدر وجهت الشيء أوجهه توجيهاً ووِجْهَةً وجِهَةً وهو من الوجه، وقالوا ذلك في وضعَ يضعُ وضعاً ووضعَةً وضعاً ولم يقولوا في وعدَ ووزنَ وهبَ إلا عدةً وزنةً وهباً(٤). وهو يوضح ذلك في القول في المعنى والتفسير يقول: والوجهة مصدر مثل القعدة والجلسة من التوجه أي متوجهة إليه بوجهه في صلاته قال الله عز وجل:"أَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ"وروي عن ابن عباس وكل وجهة هو موليها يعني بذلك أهل الأديان يقول لكل قبلة ترضونها ووجه الله حيث يتوجه المؤمنون(٥).

وفي قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ .... ﴾ (٦).

١. الزركشي :البرهان ٢٩٧/١.
٢. الزركشي :نفسه ٢٩٧/١.
٣. سورة البقرة آية ١٤٨.
٤. الحوفي: البرهان ٢/٣.
٥.. الحوفي: البرهان ٣/٣.
٦. سورة الأنعام آية ٩١.

يقول و ما قدروا الله حق قدره نصب بقدروا و هو مصدر و التقدير: و ما قدروا الله قدرا حق قدره، يقال: قَدَرَ قَدْراً و قَدِرَ تقديراً و القَدْر عِظَمُ الشيء الزائد على مقداره غيره(١).

فالحوفي ببيانه للأوجه الصرفية كشف عن المعنى المقصود و هذا من فوائد التصريف.

١ .اسم الفاعل و اسم المفعول :

ففي قوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا .... ﴾(٢)،يقول من قرأ موليها فهو اسم فاعل من ولي يولي أي و لكل أهل ملة وجهة هم مولوا وجوههم نحوها، و يجوز أن يكون الضمير لله عز و جل و التقدير: و لكل أهل ملةٍ وجهةٍ اللهُ موليها إياه، و من قرأ مولاها جعلها اسم الفاعل للمفعول كأنه ولي فهو مولاً و الضمير في هذا يعود إلى كُلّ لا غير، و اسم الفاعل إذا أضيف إلى ضمير حذف التنوين معه لزيادة الضمير و زيادة التنوين مع شدة ارتباط الاسم بالضمير فمنهم من يقول الضمير في موضع نصب لأن التنوين مُقدَّرٌ و إن كان محذوفا و منهم من يقول الضمير في موضع جر بحذف التنوين و لا يجوز إثبات التنوين مع الضمير و قد أنشدوا:

أمسلمتي إلى قومي سَرَاح

و قال أبو العباس هذه رواية شاذة و الصحيح

أأمسلمتي إلى قومي سَرَاح

فإن ثَنَّيتَ على قول من قرأ موليها قلتَ مولياها و إن جمعت قلت مولوها و هي كذلك على قراءة من قرأ مولاها غير أنك تفتح اللام تقول في الواحد مولاَها و في التثنية موليها و في الجمع مولوها، فإن جئت بالمفعول الثاني قلت موليها و في

١.. الحوفي: البرهان ٩٠/١٠.
٢. سورة البقرة آية ١٤٨.

التثنية موليا هاهما و في الجمع مولوها هن. فإن قدمت المفعول الثاني موليهوها و إن شئت مولهيها و هما موليا هما و في الجمع هم مولوُهنَّهنا و إن شئت جعلت بدل هنَّ ها في تقديم المفعول و تأخيره[١].

فمزية اسم الفاعل كما نرى أنه يقصد الفعل المشتق منه من ناحية ثم إنه متصف بما يفعل من ناحية أخرى. و هذا آكد في تصوير الفعل[٢].

الصفة المعدولة عن المصدر :

ففي قوله تعالى﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾[٣] يقول: بضر متعلق بيمسسك فبالضم الاسم و بالفتح المصدر يقال ضَرَّهُ يَضُرُّه ضراً فالضم لما عظم و الفتح لما قل و الضم كالصفة المعدولة عن المصدر للمبالغة لأن المصدر الجاري على فعله قد يقع لأقل القليل فلهذا كان الضم أعم[٤].

و الحوفي إذ استوقفته كلمة معتلة بَحَثَ عن العلة فيها و بيَّن ما حدث فيها من إعلال أو إبدال، و بين التغيير الذي يحدث في الكلمة نتيجة القلب المكاني .

و مثال الإعلال بالقلب: ما جاء في بيانه عن " المستقيم " يقول و أصل مستقيم في الكلام مستقوم ثم نقلت الكسرة التي في الواو إلى القاف فانكسرت القاف فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها و إنما وجب ذلك لأن كل فعل معتل فانه يعتل اسمه كاعتلاله، و كل فعل صحيح فانه يصح اسمه كما صح، و إنما وجب الإعلال في الاسم كما وجب في الفعل لأن من شأن العرب إذا أعلت الفعل من جهة أعلته في جميع جهاته ليتفق و لئلا يتنافر كما حذفوا الواو في يَعِد لوقوعها بين ياء و كسرة ثم حذفوها من يَعد و أعد إتباعا[٥].

---

١. الحوفي: البرهان ٢/٣.
٢. د.الجويني: منهج الزمخشري ٢٢٥.
٣. سورة الأنعام آية ١٧.
٤. الحوفي: البرهان ٢٠/١٠.
٥. الحوفي: البرهان ٢٠/١.

والحوفي في هذا يجمع بين الإعلال بالقلب والإعلال بالحذف، ففي مستقيم إعلال بالقلب وفي يعد إعلال بالحذف. لأن الإعلال بالقلب إنما هو قلب الياء واواً أو الواو ياءً وهذا ما حدث في مستقيم قلبت الواو ياء للمناسبة، أما في يَعِد فقلبت بالحذف للمناسبة أيضا وهذا قصد الحوفي من قوله: ليتفق ولئلا يتنافر أي لمناسبة الياء للكسرة في مستقيم ووقوع الواو بين ياء وكسرة في يعد.

ومثال التغيير الذي يكون للإدغام : وله تعالى﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ... ﴾(١)

يقول الأصل في " صيب " " صيوب " فلما سبقت الياء الواو بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء، وقال الكوفيون: الأصل فيه " صَوِيب " ثم أُدغم ، لو كان كما قالوا لما أُدغم كما لم يدغم طويل (٢). فالحوفي لا يرتضي قول الكوفيين ودليله عدم إدغام طويل لأن طويل على وزن صَوِيب لأن الكلمة التي يحصل فيها التغيير من أجل الإدغام توزن على أصلها قبل حدوث التغيير.

وفي قوله تعالى﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ... ﴾(٣).

يقول : تقول: حَلْي وحُلِي وحِلِي مثل ثدي وثُدِي وثِدِي والأصل حُلُوى قلبت الواو ياء لسبقها الياء بالسكون وأدغمت الياء في الياء فالكسرة لمجاورة الياء وكسرة لإتباع اللام وشاهد الكسر إجماعهم على كسر " عِصِيهم " والضم الأصل(٤).

ومثال الإبدال:

قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ... ﴾(٥).

---

١. سورة البقرة آية ١٩.
٢. الحوفي: البرهان ٧١/١.
٣. سورة البقرة آية ٥٤.
٤. الحوفي: البرهان ١٧٧/١.
٥. سورة البقرة آية ١٥٨.

يقول: و قوله من شعائر الله من معالم الله التي جعلها الله لعباده مشعراً يعبدونه عندها الواحدة شعيرة بمعنى مشعرة مثل عتيد بمعنى معد، و هو مشتق من شعرت به أي علمت و همزت شعائر لأن الياء لما لم تكن لها حظ من الحركة ترد إليه ووقعت بعد الألف و هي ساكنة و كانت الحركة مستثقلة فيها أبدلت همزة و إنما تتحمل الحركة فيها مثل معايش إذا كانت لها في الأصل لما احتيج لها لم تسلب ما كان فيها(١)

و مثال القلب :

في قوله تعالى(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(الفاتحة الآية ٦) يقول: والياء في نستعين منقلبة من واو لأنه من "العون" والأصل يستعون ولكنهم نقلوا حركة الواو إلى العين فانكسرت و قلبت الواو ياءً لسكونها و انكسار ما قبلها و كل واو تقع رابعةً فصاعدا فإنها تقلب ياء لانكسار ما قبلها. والمصدر منه نستعين استعانةً والأصل استعوانة نقلت حركة الواو إلى العين فلما انفتح ما قبل الواو و كانت الواو إلى العين أقرب و لما انفتح ما قبل الواو و كانت الواو في نية حركة قلبت الواو ألفا فالتقت ألفان فحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين واختلفوا في المحذوفة فقيل الثانية لأنها زائدة و قيل الأولى لأن الثانية للمعنى ولزمت الهاء عوضاً مما حذف و قد جاء من مثل هذا شيء على أصله نحو استحوذ و إنما جاء على الأصل ولم يعل ليعرف الأصل من الفرع(٢) .

١. الحوفي: البرهان ١٧/٣.و أحترز عليه ابن بري بقوله: إنما وجب قلب الألف همزة نحو: رسالة و رسائل لكون الألف لا تقبل حركة فأبدلت حرفا قريبا من مخرجها و هو الهمزة وجب قلب الياء في شعيرة و شعائر و الواو في حمولة و حمائل همزة لمشابهتها للألف في الزيادة و السكون و المد فإن كانتا أصلين أو محركتين لم تهمز نحو: معايش و معاول و قساور إلا أن تكون قبل ألف الجمع ياء أو واو فإنه يجب قلبهما إلى الهمز نحو: أوائل في جمع أول و أيائل في جمع إيل " الحوفي: البرهان ١٧/٣".
و في قول ابن بري نظر فقول الحوفي بإبدال الياء همزة أجود لعلتين سكون الياء و ثبوت الأول أما قول ابن بري: بقلب الألف همزة و إطلاق الحكم على الألف المثبتة بعد التغيير زائدة فقول جانبه الصواب و الأجود قول الحوفي لأن الياء ساكنة قبلها ألف مفتوح فوجب إبدالها همزة .
٢. الحوفي: البرهان ١٧/١.

والحوفي دائما ينصُّ على أصلية الحرف من عدمه ليكشف المعنى ففي قوله تعالى ﴿ ....فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ....﴾ (١)

يقول : والهاء أصلية والأصل يتسنه هذا على قول من قال سانهت وجعل المحذوف من سنه الهاء كما قال: (٢)

ليســـــت بِسَـــنْهَاءٍ ولا رُجَّبِيّـــــةٍ **** ولكـن عرَايـا في السّـنين الجَـوَائحِ

وتصغر سنة على هذا سُنَيْهَة ومن قال سانيت وصغرها سنية كان المحذوف عنده للجزم الألف المنقلبة من الواو ومعناه لم تغيره السنون، وكما يقال أسنوا وسنوات ويجوز أن يكون من السنون الذي يراد به التغيير كأنه لم يتسنن ثم أبدل من إحدى النونين ألفا وحذفهما للجزم ثم أثبت الهاء على هذا في الوصل (٣).

والقراء لم يختلفوا في إثباتها في الوقف فمن حذف فهو الأصل لأن هذه هاء السكت جيء بها لبيان الحركة في الوقف والوصل تبيّن الحركة ومن أثبت أجرى الوصل مجرى الوقف ولا يجب مثل ذلك في الإعراب لأن الإعراب دال على المعاني فلو سقط على نية الوقف بطلت المعاني (٤). والحوفي بهذا يكشف معنى يتسنه عن طريق كشفه عن الأصل الاشتقاقي والصرفي للكلمة.

والحوفي كعالم لغوي عالم بالاشتقاق والتصريف برز اهتمامه بهذين العلمين على مدى تفسيره فلم يترك كلمة سواء كانت اسما أو فعلا إلا وأرجعها إلى أصلها وبيَّن

---

١. سورة البقرة آية ٢٥٩.

٢. ذكر ابن منظور أن البيت لسويد بن الصامت و يروي :

. ليست بِسَنْهَاءٍ و لا رُجَّبِيّةٍ **** و لكن عرَايا في السّنين الجَوَائح

و يوافق الحوفي في تصغير سنة على سنيهة بقول: قال أبو منصور: و أجود ما قيل في تصغير السنة سُنَيْهَة على أن الأصل سَنَهَة كما قالوا السفة أصلها سفهه فحذفت الياء " راجع لسان العرب مادة " سَنَهَ".".

٣.. الحوفي: البرهان ١٣٤/٤.

٤.. الحوفي: نفسه ١٣٥/٤.

أوجهها الصرفية حتى يستقيم اللسان و يجنب القارئ اللحن و ييسر له الفهم و تحقق له القدرة على صياغة مفردات اللغة، و هو بهذا قد جمع بين فائدتين: فائدة تعلم العربية و فهم النص القرآني و هذا المنهج الذي سلكه الحوفي في تفسيره من أهم السمات التي تميزت بها المدرسة المصرية في التفسير. و سوف نأخذ مثالا بآيتين لكي نكشف عن صنيعه فيهما من الوجهة الصرفية لأننا لو تتبعنا ذلك على مدى تفسيره للنص القرآني لم يمكننا أن نلم بباقي المباحث التي توضح منهجه بل يجب أن يفرد لها العديد من الأبحاث:

ففي قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (١)

يقول في بشر: يقال: بَشَرْتُهُ فَأبشَرَ و تبشَّر و استبشرَ و المُبَشِّرَاتْ الرياح التي تهب بالسحاب و الغيث لقول الله عز وجل ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ...﴾ (٢) و يقال بشرتُه فأبشرَ كما قرىء تبشيرهم (٣)، يقال بَشَّرته و أبشَرتهُ و الاسم البشارة والبُشْرَى مأخوذة من البشرة لأنك إذا أخبرت الرجل بما بَشَّرَ ظهر ذلك في بشرةِ وجهه (٤)

و في عَمِلُوا : يقول: و يقال: عَمِلَ عَمَلاً، و أَعْمَلَ إعْمَالاً، و اعتَمَلَ اعتِمَالاً، و استعملَ استعمالاً و تعمَّل تَعَمُّلاً، و تعاملوا تعاملاً، و عامله معاملةً، و ينشد في اعتمل الرجل إذا عمل بنفسه :

إنَّ الكـــــريمَ و أبيـــــكَ يعتمـــــلْ **** إنْ لم يجد يوما على مَنْ يتكل (٥)

١. سورة البقرة آية ٢٥.
٢. سورة الروم آية ٤٦.
٣. الحوفي: البرهان ٩٥/١
٤. الحوفي: نفسه ٩٦/١.
٥. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

و في قوله تعالى: " تجري ":يقول: و يقال: جَرَى يَجْرِي جريا، و أجْراهُ إجْرَاء، و جاراه مُجارَاة، وتَجَارَوْا تجاريًا، و كل شيء يجري جرياً و الخيل تجري جِراء و جارة بُنَّية الجراء بلا فعل لها(١).

و في قوله تعالى " و أتوا ":

يقول: و يقال : أتى يأتي إتياء، و أتى إيتاء بمعنى أعطى و أتى بمعنى جاء(٢).

و قوله " متشابها":

أشبَهَهُ شَبْهاً، و اشتَبَهَ اشتباهاً ، و تشبه تشبها ، و تشابهوا تشابها و شبهه تشبيها و شابهه مشابهة(٣).

و في قوله تعالى " خالدون":

يقول: و الخلود البقاء و الإقامة يقال خَلَدَ بمكان كذا و كذا يخلد خلودا وخلدا فهو خالد(٤).

و في قوله تعالى﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا.... ﴾(٥).

يقول: يقال: رضع يرضع رضعا، و رضع يرضع رضاعة و أرضعته أمه إرضاعا وارتضع إرتضاعا، و استرضع استرضاعا، و راضعه رضاعا و مراضعه، يقال امرأة مُرْضع

١. الحوفي: نفسه ٩٦/١.
٢. الحوفي: نفسه ٩٦/١.
٣. الحوفي: نفسه ٩٦/١.
٤. الحوفي: نفسه ٩٦/١.
٥. سورة البقرة آية ٢٣٣.

لغيرها معناه ذات رضاع فإن بنيته على الفعل جئت بالهاء فقلت أرضعت فهي مرضعة و يقال: رضع يرضع ورضع يرضع ورضع أفصح من رضع، و يقال: الرَضاعة و الرِضاعة و الفتح أكثر.

و في كسوتهن يقول: و يقال: كساه يكسوه كسوة إذا ألبسه الثياب، و اكتس اكتساء، و يقال: كِسْوَة و كُسْوَةٌ.

و في لا تكلف: يقول: يقال: كَلِفَ وجهه كلفا و يجده كلف أي أثر والكلف بالشيء الإيلاع به لأنه لزوم يظهر أثره عليه، و كَلِفَ كلفاً إذا أحبَّ لتأثير المحبَّة عليه و تَكَلَّفَ الأمر تَكَلُّفاً بحمله، و كَلَّفَه تكليفا ألزمه ما يظهر أثره.

و في الوارث: يقول: يقال: ورثَ يرثُ إرثاً، و أورثه ميراثاً ، و توارثُوا توارثاً و ورثّه توريثاً .

و في " فِصالاً ": يقول: يقال: فَصَلَ فلان فصلاً و فاصَلَهُ مُفاصلةً، و تفاصلُوا تفاصلاً و استفصل استفصالا، و انفصل انفصالا، و فَصَّلَهُ تفصيلاً، و تفصَّل تفصُّلاً و الفصل القضاء بين الحق و الباطل، و فصيلة الرجل بنو أبيه لانفصالهم من أصل واحد و أصل الباب الفرق.

و في " تشاور " يقول: التشاور شرت العسل أشُوره شوراً ، و أشيرة إشارة إذا اجتنيته من مكانه و المشورة استخراج الرأي من المستشار لأنها تجتني منه، وشاوره مُشاورة و أشار عليه إشارةً و استشاره استشارة و أشار إلى الشيء إشارة إذا أومأ إليه و الشارة الهيئة و اللباس الحسن و أصل الباب الشور اجتناء العسل(١) .

١. الحوفي: البرهان ٦٣/٤، ٦٤.

بان لنا كيف استخدم الحوفي الاشتقاق والتصريف في فهم النص القرآني فبالاشتقاق نقف على أصل الكلمة الذي تفرعت عنه و هذا يساعد على كشف معناها بُعْداً عن اختلافات المفسرين، فنحن إذا عرفنا أصلها اللغوي الذي تفرعت عنه أمِنا اللبس في فهم معناها، و هذا القول يتضح لنا كما سبق القول من الكشف مثلا عن أصل كلمة اللّه هل هي من لاه أو من إلاه، فمن أخذها على أنها مشتقة من لاه صَرَفَ المعنى إلى الخلق يولهون إليه في حوائجهم و يضرعون إليه فيما يثوبهم، و يفزعون إليه في كل ما يصيبهم كما يوله كل طفل أمه(١)، و من أخذه من إلاه صرفه إلى ما جاء في النص القرآني نفسه، يقول عزوجل ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ....﴾ (٢).

فالحوفي بكشفه عن اشتقاق الكلمة من أصلها اللغوي كشف بذلك عن المعنى الأصلي للكلمة بعيداً عن اختلاف أئمة التفسير.

و هو بهذا قد كشف عن المعاني المختلفة المتصلة عن معنى واحد، و بهذا عُدَّ الحوفي من علماء اللغة القلائل الذين جابوا هذا الميدان، و كشفوا عن المباحث اللغوية و سبروا أغوار كل ذلك إنما كان من أجل فهم النص القرآني و هذه سمة بارزة للحوفي في منهجه التفسيري للنص القرآني.

١. ابن منظور: لسان العرب مادة " لَاَه "
٢. سورة المؤمنون آية ٩١.

القسم الثالث
عناية الحوفي بالدلالة اللفظية

لم تقف عناية الحوفي عند بيان أصل الكلمة من الناحية الاشتقاقية و الأوجه الصرفية بل تعداها إلى الكشف عن جانب آخر أصل في المباحث اللغوية، و هو بيانه للفظة المفردة و كشفه عن النظائر و النقيض للكلمة المفردة، و إنما جاءت عنايته باللفظة المفردة عن طريق شرح معناها، و بيان مدلولها، و هو بهذا قد كشف لنا عن الدلالة المعجمية للفظ، و الحوفي لم ينص صراحة عن الدلالة المعجمية للفظ و إنما استخلصناها من معالجته لهذا الجانب، كما لم ينص على اللفظ الغريب الذي اصطلح العلماء على أن المقصود بالغريب هو معرفة المدلول يقول الزركشي: إن الغريب هو معرفة المدلول (١) و يقول الرافعي: و في القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب و ليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، و إنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربه في التأويل ويحيث لا يتساوى بالعلم بها أهلها و سائر الناس (٢).

و الحوفي في عنايته باللفظة المفردة لم ينص على غرابتها و إنما كشف عن معناها و بيان دلالتها، دون أن يسلك ما سلكه السابقون عليه ممن ألفوا في غريب القرآن (٣) في النص على غرابة اللفظة القرآنية و هذا دليل على أن الحوفي لم يرتض أن تطلق على أي

١ - الزركشي : البرهان ١ / ٢٩١ .
٢ - الرفاعي : إعجاز القرآن ٧٤.
٣ - أمثال :
أ. محمد بن عزيز العزيزي السجستاني ت ٣٣٠ هـ .
ب. أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ت ٣٤٥ هـ.
ج. أحمد بن أبان بن سيد القرطبي ت ٣٨٢ هـ.
د. أحمد بن محمد الهروي ت ٤٠١ هـ.

لفظة من ألفاظ القرآن كلمة غريب و ذلك لتنزيه القرآن، و لذلك جاءت عنايته باللفظة القرآنية دون أن ينصَّ على ذلك ففي قوله تعالى﴿ ....وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى... ﴾[1] يقول في معنى " المن و السلوى" : و كان يسقط على الشجر الترنجبين[2] و السلوى هو طائر يشبه السماني، و اختلف في المن ما هو: فروي عن ابن عباس قال هو من كان ينزل على شجرهم فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا،و قال مجاهد هو صمغة و قال قتادة: هو شراب مثل الثلج، و قال الربيع بن أنس: هو شراب مثل العسل يمزجونه و يشربونه، و روي أن وهباً سُئِلَ عنه فقال هو خبز الرقاق من الذرة، و روي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : الكمأه من المن، و أما السلوى فروي عن ابن عباس قال: السلوى يشبه السماني، و قيل هو طير ثمين مثل الحمام ، و المن جمع لا واحد له سمي مناً لمن الله به، و قال هو مثل الخير و الشر لا واحد له،و السلوى السماني مثل شكاعي في الواحد و الجمع على لفظ واحد ولو قيل في واحدة على القياس لقيل سلواه والسلوى و السلوان عند العرب كل ما أسلاك[3] فالحوفي يبيِّن أن معنى المن الترنجبين . و السلوى كل ما أسلاك.

و هو عن طريق كشفه عن أصل الكلمة يصل إلى معناها ففي قوله تعالى ﴿...كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا.... ﴾[4]. يقول و معنى يتلو يقرأ و أصله الإتباع من قولك: تلوت الرجل إذا اتبعته ، وناقة متلية إذا كان لها ولد يتلوها أي يتبعها، و منه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾[5] أي اتبعها[6].

---

١ - سورة البقرة آية ٥٧.

٢ - الترنجبين : يقول ابن منظور، و في التنزيل العزيز: و أنزلنا عليهم المن و السلوى قال الزجاج جملة المن في اللغة ما يمن الله عز و جل به مما لا تعب فيه و لا نصب قال : و أهل التفسير يقولون: إن المن شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب و يقال : الترنجبين . راجع ابن منظور: اللسان: مادة "مَنَنَ ".

٣ - الحوفي: البرهان ١٨٥/١ .

٤ - سورة البقرة آية ١٥١.

٥ - سورة الشمس آية ٢.

٦ - الحوفي: البرهان ٨/٣ .

و هو بهذا يبيِّن المعنى المقصود في الآية ثم يكشف عن معناها الأصلي و يستند على ورود الكلمة في النص القرآني ليؤيد ما ذهب إليه.

و في قوله تعالى﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ (١).

يقول سكت أي سكن و كل كاف عن شيء ساكت عنه و إنما قيل للساكت عن الكلام ساكت لكفه عنه و جاز أن يقال في الغضب سكت و ليس الغضب مما يجوز أن يُتَكَلَم به فإنما جاءت الكتابة عنه بالسكوت لأن له فورة تدل على ما في نفس الغاضب فيصير الدلالة كأنه بمنزلة المتكلم فإذا سكنت تلك الفورة صار كأنه ساكت لارتفاع الدلالة و قال بعضهم هو على القلب و معناه و لما سكت موسى عن الغضب على القلب كما قالوا أدخلوا القلنسوة رأسي و إنما المعنى أدخلت رأسي في القلنسوة، و الأول أولى لما فيه من المعنى اللطيف الدال على الفصاحة و التوسع الذي هو أحسن في الحقيقة و هذا كثير في اللغة (٢)

تلك كانت بعض الأمثلة التي تمثل صنيع الحوفي في شرحه لمعنى اللفظة المفردة وصولا للمعنى المنشود.

أما عناية الحوفي بالنظائر و النقيض فقد جاءت متسقة مع شرحه للفظة المفردة و قبل الحديث عن عنايته بهذا الجانب نتساءل : هل قصد الحوفي بهذين المصطلحين الترَدف و الأضداد أم الأشباه و النظائر أم المشترك اللفظي:

و لكي نقف على مقصود الحوفي لابد من الكشف عن معاني هذه المصطلحات فحد المشترك اللفظي كما بيَّنه السيوطي: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة، لأن المعاني غير متناهية و الألفاظ متناهية فإذا وُزِّع لزم الاشترَك(٣).

١ - سورة الأعراف آية ١٥٤.
٢ - الحوفي: البرهان ٢٩/١٢ .
٣ - السيوطي : المزهر ٢٦٩/١.

و أطلق الزركشي على هذا المفهوم الوجوه يقول: فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظة الأمة و النظائر كالألفاظ المتواطئة(١).

و ما قال به السيوطي و الزركشي متفق مع ما طبقه الحوفي في تفسيره، ففي قوله تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً....﴾ (٢).

يقول الحوفي: اختلف العلماء في معنى الأمة ها هنا و معنى الناس، فقال بعضهم هم الذين كانوا بين آدم و نوح عليهما السلام وهم عشرة قرون كانوا على شريعة واحدة من الحق فاختلفوا بعد ذلك رُوِيَ ذلك عن ابن عباس، و قال آخرون الناس أمة واحدة على دين واحد يوم استخرج ذرية آدم من صلبه، فعرضهم على آدم رُوِيَ ذلك عن أُبَي بن كعب و ابن زيد، و قال قوم : كان الناس أمة واحدة كان جميع من كان مع نوح في السفينة مؤمناً ثم تفرقوا من بعده عن كفر فبعث الله النبيين، و قال آخرون: كان الناس أمة واحدة على الكفر بالله فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين رُوِيَ أيضاً ذلك عن ابن عباس والأمة في اللغة تتوجه على وجوه منها أن الأمة " الدين " و منه قوله عز و جل

﴿....إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ...﴾ (٣)

أي على دين، و منها القامة، يقال: فلان حسن الأمة أي حسن القامة قال الشاعر(٤):

و إِنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِين ★★★★ بِيضُ الوجوه طِوال الأَمَم

١ - الزركشي: البرهان ١٠٢/١.
٢ - سورة البقرة آية ٢١٣.
٣ - سورة الزخرف آية ٢٢.
٤ - الشاعر كما ذكره ابن منظور هو الأعشى
راجع ابن منظور: لسان العرب " مادة " أَمَمَ "

أي طوال القامة، والأمة القرن من الناس يقول" مضت أمم " أي قرون. والأمة الرجل الذي لا نظير له و منه قوله عز وجل ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا....﴾ (١) أي كان إماما و الأمة النعمة و الخير قال عدي بن زيد:

ثم بعد الفلاح و الرشد و الأمة و ارتهم هناك القبور

أي بعد النعمة و الخير، و أمة " حين ":كقوله عز وجل﴿ ...وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ..﴾ أي إلى حين و كذا :"... وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ..."(٢) أي بعد حين و أمة أتباع الأنبياء عليهم السلام كما قال" نحن من أمة محمد عليه السلام، و أمة جماعة كقوله عز وجل:"... أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ..."(٣) ، و أمة رجل منفرد بدين واحد لا يشركه فيه أحد قال النبي صلي الله عليه وسلم :" يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده" و أمة: أم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد فجاءت الأمة بمعنى الدين أي هو مقصد واحد، و معنى القامة أي سائر مقصد الجسد، والجماعة أي هم على مقصد واحد إليه، يتوجه الوجوه فيتوجه المعنى في الآية على مقصد واحد إما إيمان و إما كفر قد قال الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٤) فتوعد على الاختلاف لا على الاجتماع(٥)

و الحوفي بهذا القول يخرج مفهوم النظائر عن حد المشترك اللفظي.

و إذا كان الحوفي بالأمثلة التي جاءت في تفسيره يخرج المشترك اللفظي عن المقصود بمصطلح النظائر، فلابد أن النظائر لها مفهوم آخر عنده و هذا يستدعي أن نقف على حد الترادف.

---

١ - سورة النحل آية ١٢٠.
٢ - سورة يوسف آية ٤٥.
٣ - سورة القصص آية ٢٣.
٤ - سورة يونس آية ١٩.
٥ - الحوفي: البرهان ١٧/٤، ١٨.

و حد الترادف كما بيَّنه الإمام فخر الدين يقول السيوطي: قال الإمام فخر الدين هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد. قال: و احترزنا بالإفراد عن الاسم و الحد فليسا مترادفين و بوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف و الصارم فإنهما دلاَّ على شيء واحد(١) و هذا القول يتفق مع مقصود الحوفي بمصطلح النظائر فالمتتبع لتفسير الحوفي يرى أنه لم يترك كلمة إلا وقد بيَّن نظيرها في اللغة و دلَّل عليها بل بلغ من الدقة أنه بيَّن الفرق بين النظير و النظير، ففي قوله تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، يقول: الحمد و الشكر و المدح و الثناء نظائر و بين الحمد والشكر فرق يظهر بالنقيض فنقيض الشكر الكفر، و نقيض الحمد الذم والحمد أعم من الشكر لأن الحمد يكون على نعمة و على غير نعمة، كما يكون المدح والشكر لا يكون إلا على نعمة، و أصل الحمد الوصف الجميل كما أن أصل المدح كذلك(٣).

و الحوفي يبيِّن أن هذا القول ليس على إطلاقه فإنه ربما وقعت بعض الألفاظ في موضع فدلت على معنى دون المعنى الآخر، ففي افتتاح سورة الأنعام بالحمد يقول: وجاء افتتاح السورة بالحمد مع سواها ولم يجتزأ بواحد لأن كل موضع يدل على معنى دون المعنى الآخر من أجل عقده بالنعم المختلفة، و جاء على صيغة الخبر و فيه معنى الأمر لأنه أبلغ أن نبيِّن أن الله يستحق الحمد على النعم عَمِلَ العامل بما يلزمه أو لم يعمل(٤). كما نجده في موضع آخر يؤكد على المعنى الأول ففي قوله :﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ....﴾(٥) يقول : الشكر و الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة و الكفر تغطية الشيء(٦). فالمعنى يقتضيه سياق الكلام.

١ - السيوطي: المزهر ٤٠٢/١.
٢ - سورة الفاتحة آية ١ .
٣ - الحوفي: البرهان ٩/١.
٤ - الحوفي: نفسه ٩/١٠.
٥ - سورة البقرة آية ١٥٢ .
٦ - الحوفي: البرهان ٩/٣.

فالحوفي بهذا قد حدد المقصود بالنظائر و هي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد و فائدة النظائر: انتقاء اللفظ الملائم، و توسيع مجال التصرف اللغوي، و ستر العيوب اللسانية و ميزته كثرة الطرق للإخبار عما في النفس، و اختيار الأخف و الأظهر بين الألفاظ.

و بهذا المفهوم جاءت عناية الحوفي ببيان النظائر:

ففي قوله تعالى:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[1] يقول العبادة و الخضوع والخشوع و الاستكانة و التذلل نظائر في اللغة و أصل العبادة التذلل من قولهم طريق معبد أي مذلل لكثرة الوطء قال طرفة:

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيات و اتبعت ★★★★ وَظِيفاً وَظِيفاً فوقَ مورٍ معبدِ

و المور الطريق، و منه أخذ العبد لذلته يقال : " عبدت " اللّٰه أعبُدُه عبداً وعبادةً و تَعَبَدَ الرجلُ تَعَبُّدًا ، و عَبدت الرجل إذا ما استعبدته ، و يقال ما عَبَدَ أو فعل كذا و كذا أي أبطأ و عبدت من الأمر أعبد إذا أنِفت منه ، و ليست العبادة مثل الطاعة لأن النصارى قد عبدوا المسيح و ليسوا بمطيعين،و كذلك من قال العبادة التقرب لأن التقرب إنما هو طلب الكرامة و ارتفاع المنزلة لأن من تقرب إلى النبي صلي اللّٰه عليه وسلم طلبا للكرامة و ارتفاع المنزلة ليس يقال له عابد له، فصح أن العبادة التذلل و الخضوع و الاستعانة سؤال المعونة كما أن الاستعاذة سؤال الإعادة و الاستعصام سؤال العصمة[2].

و الحوفي بهذا المنظور يبحث عن المعنى الدقيق للكلمة التي يبيِّن نظائرها في اللغة فتارة نراه يفرق بين النظير و النظير، و أخري يبيِّن الجانب الصرفي ليصل بنا إلى المعنى

---

١ - سورة الفاتحة آية ٢ .

٢ - ذكر ابن منظور أن البيت لطرفة يقول: و المور : الطريق، ومنه قول طرفة
تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيات و اتبعت ****وَظِيفاً وَظِيفاً فوقَ مورٍ معبدِ
راجع لسان العرب مادة : " مَوَرَ "

المنشود، فإن كان هناك أكثر من معنى فرَّق بين تلك المعاني و رد عليه و احتج لرأيه ففي قوله تعالى ﴿ .... ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ...﴾ (١).

يقول الإنعام و الإحسان و الإفضال نظائر في اللغة؛ الفرق بين الإنعام والإحسان قد يكون محسنا إلى نفسه و لا يكون منعما عليها، فلو كان منعماً عليها لوجب عليه أن يشكر نفسه(٢)، و أصل النِعْمَةُ و النَعَمَة اللين و الخفض و الدعة، فالنِعْمَة الاسم النَعَمَة المصدر يقال نعم ينعم فهو ناعم بين النعيم إذا كان في خفض من العيش و رفاهية، و منه يقال : النِعَمْ للإبل و البقر و الغنم و أكثر من ما يسمى بذلك الإبل لِنِعْمَة مَسها و كل أحد فلله عليه نِعْمَة لأن نعمه تحصى كثرة مؤمناً كان أو كافراً يدل على ذلك قوله تعالى ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (٣).

و في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ فِيهِ...﴾ (٤)

يقول: و قوله: لا ريب فيه قال عطاء و مجاهد وقتادة و السدي عن ابن عباس لا شك فيه، والريب الشك واللبس نظائر في اللغة، يقال: رابني الشيء ريبا، إذا علمت منه الريبة ، و أرابني إذا أوهمني الريبة، و الفرق بين الريب و الشك أن الريب شك معه تهمة للمسئول فيه ألا ترى أنك تقول: قد ارتبت بفلان إذا اتهمته ، و أما الشك فهو الوقف بين النقيضين الذي ينافي القطع في أحدهما، كما تقول في المطر أيجيء هذا اليوم أم لا؟ وليس معه تهمة لا يصلح أن تقول في هذا المعنى: قد رابني المطر في هذا اليوم أم لا؟ (٥)

١- سورة الفاتحة آية ٧.
٢ - الحوفي: البرهان ٢٤/١.
٣- سورة النحل آية ٨٣.
٤ - سورة البقرة آية ٢.
٥ - الحوفي: البرهان ٣٣/١

والحوفي في هذا يبيَّن الفرق بين الكلمة الواحدة إذا دخلت عليها الهمزة غيرت المعني كما يفرَّق بين النظيرين فبعد أن بيَّن أن الريب والشك نظائر في اللغة فرق بينهما فقال أن الريب شك معه تهمة للمسئول فيه ، والشك وقف بين النقيضين .

وفي قوله تعالى ﴿ ....وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

يقول : واليقين والعلم والمعرفة نظائر إلا إن بين اليقين والعلم فرقا ، وهو أن اليقين مما وقع من الثقة بالشيء ويلج الصدر به بعد أن لم يكن ، كما أن الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غائص في الدلالة ، والشك ينافي اليقين كما ينافي العلم وكل يقين علم (٢) والحوفي في قوله :بأن الشك ينافي اليقين كما ينافي العلم أدق من قوله يناقض ، لأنك إذا قلت الفرق بين الأبيض والأسود والأحمر ، الأبيض يناقض الأسود قلت أيضاً الأبيض يناقض الأحمر وإذا قلت الأبيض ينافي الأسود لا يصح أن نقول الأبيض ينافي الأحمر لأنه من ألوانه، فعلم أن استخدام أن الحوفي لكلمة ينافي أدق في موضعها من كلمة يناقض .

وفي قوله تعالى﴿ .... وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

يقول : واصل الفلاح القطع قال الزجر:

حتى تري جماجمًا تطوح ★★★★ أن الحديد بالحديدِ يفلح

أي يقطع ، ومنه سمي الفلاح لأنه يقطع الأرض أي يشق ، وقد قيل أصلة البقاء وأنشد : أفلح لما شئت فقد تدرك بالضعف وقد يخدع الأريب (٤)

قيل : معناه ابق بما شئت من قتل أو حمق ، وقيل معناه : اقطع زمانك بما شئت ، وقيل أصل الفلاح الظفر بالغاية وعلى ذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (٥) .

---

١ - سورة البقرة آية ٤.
٢ - الحوفي : البرهان ٤٢،٤٣/١.
٣ - سورة البقرة آية ٥ .
٤- جاء في لسان العرب فلح أنه قول عبيد :ويروي :افلح بما شئت فقد يبلغ بالنوك وقد يخدع الأريب .
٥ - سورة الشمس آية ٩ .

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (١)

وقال عدي بن زيد (٢)

ثـمَّ بعـدَ الفـلاح والرشـد والأمـة ★★★★ وارتهـــم هنـــاكَ القبـــور

فهو في هذا القول يكشف المعني عن طريق ذكر الأقوال ليصل إلى النظير ،فبعد أن ذكر أن أصل الفلاح القطع ،بيّن المعاني المختلفة ودلّل علي كل معني ليصل أن بعض هذه المعاني قد يكون نظير الكلمة المراد الكشف عنها ،ففي قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ.. ﴾ (٣)

يقول : الكفر والشكر والجحود نظائر ، واصل الكفر الستر ، قال لبيد بن ربيعة :

تعلـو طريقـة متنهـا متـواترً ★★★★ في ليلـة كَفَـرَ النجـوم غمامـا

أي سترها وغطاها ،ويسمى الزرع كافرًا لأنه يستر الحب ، ويقال كفر النعمة إذا سترها بجحود لها . والسواء والاتزان نظائر واصل السواء الاعتدال ، والفرق بين المساواة والمماثلة أن المساواة بين المختلفين في الجنس والمتفقين فيه ، والمماثلة إنما هي للمتفقين في الجنس وإنما المساواة في المقدارين اللذين لا يزيد أحدهما علي الآخر ولا ينقص عنه ، فالتساوي التكافؤ في المقدار فأما التماثل فهو أن يسد أحد الشيئين مسد الآخر في المشاهدة كالسوادين والضوءين والطعمين (٤)

والحوفي دقيق في بيانه للنظائر فهو لكي يكشف المقصود يفرق بين معني الكلمة والكلمة التي تماثلها ففي قوله تعالى ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ....﴾ (٥).

١- سورة المؤمنون آية ١.
٢- جاء في لسان العرب مادة " فَلَحَ" أم البي لعدي بن زيد .
٣- سورة البقرة آية ٦.
٤- الحوفي : البرهان ٤٥،٤٦/١.
٥- سورة البقرة آية ٢٣٨.

يقول : المحافظة والمواظبة والملازمة نظائر. والحافظ خلاف المضيع والحفيظ الموكل بالشيء (١)

فهو بقوله : الحافظ خلاف المضيع ، والحفيظ الموكل بالشيء قد كشف الفرق بين الحافظ والحفيظ ، فالحافظ هو القابض علي الشيء وهو خلاف المضيع ، وذلك غير الحفيظ وفي قوله تعالى ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ (٢) يقول :الصم والوقر والثقل نظائر في اللغة ، فأما الطرش فزعم أبو حاتم أنه دخيل وانه مما تلحن فيه العامة.كما يقول: الرجوع عن الشيء والانقلاب عنه والزوال عنه نظائر (٣) كما بيّن أن النظائر قد تقع بين الصفة ، ففي قوله تعالى : ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (٤)

يقول : الزلل والخطأ والغلط نظائر ، وعزيز وقدير ومنيع نظائر في الصفة ، والبَيِّنه والدلالة والحجة نظائر (٥) .

وبهذا المفهوم بيّن الحوفي اللفظ ونظائره سواء في اللغة أو في الصفة ،وفرق بين اللفظة ونظيرتها ، كما بيَّن اللفظ ونقيضه ، وقصد بهذا الصنع أمورا منها :

١- أن تكثر الوسائل – أي الطرق – إلى الأخبار عما في النفس ، فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به

٢- التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النظم والنثر (٦) .

١ - الحوفي :البرهان ٧٨/٤ مكرر.
٢ - سورة البقرة آية ١٨.
٣ - الحوفي :نفسه ٧٠/١.
٤ - سورة البقرة آية ٢٠٩.
٥ - الحوفي : البرهان ٩/٤.
٦ - السيوطي : المزهر ٤٠٦/١.

٣- الربط بين اللفظ ونظيره، وذلك إحياء للغة ، وهذا لا يتم إلا بربطه بالألفاظ التي وردت في النص القرآني و بالذات في تفسير القرآن لتتم الفائدة المرجوة من هذا الصنيع التي تَنَبَّه لها الحوفي في عصر ازداد فيه لسان العرب انحرافا نحو اللحن لاختلاط العرب بالعناصر الأخرى ، و كما سبق أن نوهنا بالأمثلة التي تؤيد ما نقول كثيرا منها(١) في قوله تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (٢) يقول الكر والرجع و الفتل نظائر و نقيض الكر الفر و هو بمعنى الرجوع و الحسرة والندامة و الكآبة نظائر في اللغة و نقيض الحسرة الغِبطة(٣).

و الحوفي بتحديده للنظير دقيق، فإذا رجعنا إلى معنى الكرّ و الرجع و الفتل بانت لنا دقته. فابن منظور يقول في معنى الكر: كرَّ عنه رَجَعَ و الكُّر: الرجوع على الشيء. و معنى رجع: يقول رجع إليه: كرّ و رجع عليه و ارتجع: كَرَجَعَ(٤) و معنى الفتل: يقول الفتل: لَي الشيء كَلَيِّكَ الحبل و كفتل الفتيلة، يقال: انفتل فلان عن صلاته أي انصرف و لفت فلانا من رأيه و فتله أي صرفه و لواه و فتله عن وَجْهِهِ فانفتل أي صرفه فانصرف و فتل وجهه عن القوم : صرفه(٥).

و في قوله تعالى﴿ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (٦) يقول التبديل و التغيير نظائر، والإنعام و الإحسان و الإفضال نظائر، والشدة و الصعوبة و الصلابة نظائر، و العقاب و العذاب من النظائر(٧).

١- راجع: ملحق الرسالة القسم الخاص بالنظائر.
٢- سورة البقرة آية ١٦٧.
٣- الحوفي: البرهان: ٣٢/٢.
٤- ابن منظور: لسان العرب مادة " كَرَرَ "
٥- ابن منظور: نفسه مادة " رَجَعَ "
٦- سورة البقرة آية ٢١١.
٧- الحوفي: البرهان ١٣/٤، ١٤.

والحوفي بكشفه عن النظائر إنما أراد التوسعة اللغوية و تجنب اللحن.

أما عنايته بالنقيض فقد جاءت أكثر تحديداً و بُعداً عن الخلافات التي دارت بين علماء اللغة حول الأضداد، ولكي نقف على مقصود الحوفي بهذا المصطلح فلابد من لمحة سريعة حول مفهوم الأقدمين لكلمة " ضد " و هل كان مقصود الحوفي بالنقيض الضد، يقول سيبويه: إعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين،و اختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس و ذهب و اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من المَوْجِدة ووجدت إذا أردت وجدان الضالة(١).

و أبو الطيب اللغوي يقول: الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين؟ و إنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف اعم من التضاد إذا كان كل متضادين مختلفين ضدين(٢).

وعقد السيوطي في كتابه المزهر النوع السادس والعشرين وسماه:" معرفة الأضداد"(٣) جمع فيه ما اصطلح عليه المتقدمون في تعريف الأضداد و أشار إلى صاحب الحاصل الذي ذكر: أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد، لأن المشترك يجب فيه إفادة التردد بين معنييه ، والتردد بين النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ(٤).

١- سيبويه: الكتاب ٢٤/١.
٢- د. توفيق محمد شاهين: المشترك اللغوي نظرية و تطبيقا ١٣١.
٣- السيوطي: المزهر ٣٨٧/١.
٤- السيوطي: نفسه ٣٨٧/١.

و على ذلك فالحوفي حدَّد هذا المصطلح بالنقيض و هو دقيق في تحديده لأن النقيضين لا يجتمعان كما لا يلتقيان أما الضدين فقد يلتقيان.

و نستطيع أن نستنبط ذلك من كلامه، ففي قوله تعالى(ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ)يقول: الإيمان نقيض الكفر و نقيض الغيب الشهادة و لهذا قال عز و جل " عالم الغيب" و الشهادة و الإقامة نقيضها الإضجاع، و الرزق نقيض الحرمان(١). فهو هنا يستخدم كلمة نقيض، نراه في موضع آخر يستخدم كلمة خلاف ففي قوله تعالى(يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...)

يقول: الخديعة خلاف النصيحة(٢) كما قال في موضع آخر يستخدم كلمة ينافي فهو يقول: و الشك ينافي اليقين كما ينافي العلم و كل يقين علم.

و الحوفي بهذا قد اتفق مع أبي الطيب اللغوي في تعريفه السابق للأضداد كما اتفق مع صاحب كتاب الحاصل من أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد، إلا أن الحوفي دقيق في تحديده إذ أنه يضع المصطلح المناسب في المعنى المناسب كالإيمان لابد أن يكون نقيض الكفر، والخديعة ليست نقيض النصيحة إنما خلافها ، والشك لا يناقض اليقين إنما ينافيه.

و الحوفي بكشفه عن النظائر و النقيض إنما أراد أن يوسع مجال التصرف اللغوي و ستر العيوب اللسانية،و انتقاء اللفظ، و اختيار الأخف و الأظهر بين الألفاظ.

و الأمثلة على ذلك كثيرة(٣) نكتفي بذكر مثال واحد مما جاء بتفسيره للربع الأول من سورة البقرة.

١- الحوفي: البرهان ٣٧/١، ٣٨.
٢- الحوفي: نفسه ٥٢/١.
٣- راجع الحوفي: البرهان١٨/١، ٢٤، ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٦٥، ٧٠، ١٨٥، ٨/٣، ٩،١٣، ١٢٥،٣٢، ٣٤
١٧/٤، ١٨، ٧٨ مكرر.
١٦/٨
٩/١٠
١٠٠/١١
٢٩/١٢

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١	(ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ)آية ٢	الكتاب	الكتاب، الفرقان، و القرآن نظائر اسم لكتاب الله الكتاب و الصحيفة و المصحف و المدرجة نظائر في اللغة" ٣٢/١".	
		ريب	الريب، و الشك، و اللبس نظائر" ٣٢"	
		الهدى	الهدى و البيان و الإيضاح نظائر" ٣٣/١"	الضلال
٢	(ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ) آية ٣	يؤمنون	الإيمان و الإحسان و الإسلام نظائر " ١/ ٣٧ "	الإيمان نقيض الكفر
		الغيب		نقيض الشهادة
		يقيمون		الإقامة نقيضها الإضجاع
		مما رزقناهم	الرزق و العطاء و الجاري نظائر " ٣٨/١"	الرزق نقيض الحرمان
٣	(وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ) آية ٤	أنزِلَ	النزال و الحدر و الحط نظائر من اللغة، و النزول نظير الهبوط" ٤٢/١"	النزول نقيض الصعود
		وبِالآخِرَةِ	الآخر و الثاني و التالي نظائر " ٤٢/١"	الآخر نقيض الأول
		يُوقِنُونَ	اليقين و العلم و المعرفة "٤٣/١"	
٤	(أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)آية ٥	المفلحون	الفلاح و النجاح و الظفر نظائر في اللغة " ٤٤/١"	
٥	(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)آية ٦	كفروا	الكفر و الشرك و الجحود نظائر " ٤٥/١"	نقيض الكفر النعمة
		سواء	السواء و الاعتدال و الاتزان نظائر	الشكر للنعمة و نقيض الكفر بالله الإيمان بالله
		أأنذرتهم	الانذار والتخويف و التحذير نظائر " ٤٦/١"	

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٦	(خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) آية ٧	ختم	الختم و الطبع و الوسم نظائر و الرين دون ذلك و الإقفال اشدها " ٤٨/١"	
		قلوبهم	القلب و العكس و الكف في الأصل نظائر" ٤٨/١"	
		غشاوة	الغشاوة و الغطاء و السائر نظائر	
		عذاب	العذاب و الألم و الوجع نظائر	نقيض العذاب النعيم
		عظيم	العظم و الكبر و الضخم نظائر	
٧	(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) اية٨	النَّاسِ	الناس و البشر و الأنس نظائر في اللغة "٥٠/١"	
٨	(يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)اية ٩	يُخَادِعُونَ	الخديعة و التمويه و الغرور نظائر " ٥٢/١"	الخديعة خلاف النصيحة

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٩	(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ) اية ١٠	مَّرَضٌ	المرض و السقم و الوجع نظائر	نقيض المرض الصحة
		فَزَادَهُمُ	الزيادة و الرجحان و الفضل نظائر	
		يَكْذِبُونَ	الكذب و الباطل و الفاسد نظائر " ٥٥/١"	الكذب نقيض الصدق
١٠	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) اية١١	لاَ تُفْسِدُواْ	الفساد و البطلان و الانتقاص نظائر في اللغة" ٥٨/١"	الفساد نقيض الصلاح
١١		السفهاء	السفه والنزق و الطيش نظائر" ٥٨/١"	الحكمة نقيض السفه
١٢	(وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ)آية ١٤	لقوا	اللقاء للشيء و الاجتماع معه و الحضور نظائر	اللقاء نقيض الحجاب
		خَلَوْاْ	الخلاء من الشيء و الفراغ منه و العراء منه نظائر	الخلاء نقيض الملأ
		شَيَاطِينِهِمْ	الشيطان و العاتي و المتمرد نظائر	
		مُسْتَهْزِؤُونَ	الهزء و الهذل و السخرية و اللعب نظائر " ٦٠/١"	نقيض الهذل الجد

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١٣	(ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ)اية ١٥	يستهزئ	الاستهزاء و اللعب و العبث نظائر	
		طُغْيَانِهِمْ	طغى و بغى و استعلى نظائر	نقيضه التواضع
		يَعْمَهُونَ	العمى و العشا نظائر إلا أن الأعشى قد يستضئ ببصر ضعيف و الأعمى لا يرى شيئا.	
١٤	(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ...) اية١٦	اشْتَرُوُاْ	الاشتراء للشيء و الاستبدال به و الاستخلاف منه و الاعتياض نظائر	نقيضه البيع
١٥	(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) اية ١٧	مَثَلُهُمْ	المِثلُ و المَثَلُ و الشبه و الشبيه نظائر	الخلاف
		أَضَاءتْ	الضياء و الإشراق و الإنارة نظائر	الظلام
		ذَهَبَ	الذهاب بالشيء و الاهلاك و الاضاعة نظائر	الحفظ
		لاَّ يُبْصِرُونَ	البصر و الرؤية و المشاهدة و المعاينة نظائر فبي اللغة " ٦٨/١"	
١٦	(صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)اية ١٨	الصم	الصم و الوقر و الثِقَل نظائر في اللغة، فأما الطرش فزعم أبو حاتم أنه دخيل في اللغة و أنه مما تلحن فيه العامة	
		يَرْجِعُونَ	و الرجوع عن الشيء و الارتداد عنه و الانقلاب عنه و الزوال عنه نظائر " ٧٠/١ "	

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١٧	(أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ)اية ١٩	حذر	الحذر و الفرق و الفزع و الجزع نظائر و يقاربه الخوف " ٧٣/١ "	نقيض الخوف الأمن
١٨	(يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)اية٢٠	يَكَادُ	يكاد و يقارب و يداني نظائر	
		مَّشَوْا۟	المشي و السعي و السير نظائر إلا أن في السعي اسراعا	
		شَاء	و المشيئة و الإرادة و المحبة نظائر	المحبة نقيضها الكرامة
		قَدِيرٌ	و القدرة و القوة والاستطاعة نظائر، وبين القدرة والاستطاعة فرق لأن الاستطاعة من انطياع الجوارح للفعل و القدرة مأخوذة من المقدار فكأنها تتهيأ للقادر على ما يريد "٧٨/١ "	و نقيض القدرة العجز

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١٩	(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) اية٢١	خَلَقَكُمْ	الخلق و الفعل و الإحداث نظائر و بينهما فروق فالخلق الإيجاد على تقدير و ترتيب و الإحداث الايجاد للشيء على قرب عهده و الفعل يحتمل التقدير و به قال محمد بن يزيد: خلقت الأديم بمعنى قدّرته و دبّرته و ينشد لزهير و لأنت تفري ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفري ٨٢/١	
٢٠	(ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) اية ٢٢	فِرَاشاً	الفراش و المهاد و المَمْطَأ و البساط و القرار نظائر في اللغة	
		بِنَاء	و البناء و العلو و الارتفاع نظائر	
		فَأَخْرَجَ	الإخراج و الإظهار و الإبراز نظائر	نقيض الإخراج الإدخال
		أَندَاداً	و الند و المثل و الشبه نظائر قال حسان : أتهجوه و لست له بند **** فشركما بخيركما الفداءُ " ٨٦/١ "	

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٢١	(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)اية٢٣	عَبْدِنَا	العبودية و الرق و الملك نظائر	و نقيض العبد الحر
		ادْعُوا	الدعاء إلى الشيء و الصرف إليه و التمثيل إليه نظائر	و الدعاء إليه نقيض الزجر عنه
		شُهَدَاءكُم	الشهادة و الحجة و البينة نظائر	و نقيض الشهادة الغيبة
٢٢	(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) اية٢٤	تَفْعَلُوا	الفعل و الإحداث و الإيجاد نظائر	
		وَقُودُهَا	الإيقاد و التأجيج و الإلهاب و الإشعال نظائر " ٩٢/١، ٩٣"	نقيض الإيقاد الإخماد الإشعال و الإلهاب

ما جاء من النظائر و النقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٢٣	(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) اية ٢٥	بَشِّرِ	البشارة و التبشير و التفريج و المسرة نظائر في اللغة	
		جَنَّاتٍ	الجنة و البستان و الروضة و الزهرة نظائر	
		أُتُواْ	الإتيان و المجئ و الإقبال نظائر في اللغة	
		مُتَشَابِهاً	التشابه و التماثل و التجانس نظائر و أصل الشبه سد احد الشيئين مسد الآخر	
		مُطَهَّرَةٌ	التطهير و التقديس و التنظيف نظائر في اللغة	نقيض التطهير التنجيس
		خَالِدُونَ	الخلود و الدوام و البقاء و التأبيد نظائر و أصل الخلود الدوام " ٩٦/١"	

القسم الرابع
الإعراب و ثقافة الحوفي النحوية

بان لنا في الأقسام السابقة عناية الحوفي بالجوانب اللغوية المتعددة، من ناحية صوتية و اشتقاقية و تصريف و دلالة ألفاظ، و في هذا القسم نكشف عن الجانب الإعرابي عنده و هل المقصود به ضبط أواخر الكلم أم المقصود به النحو بمعناه الواسع:

المطلع على تفسير الحوفي يجد أن الحوفي قد دعته أسباب عدة للاهتمام بهذا الجانب؛ من هذه الأسباب :

١. الاعتماد على اللغة و النحو لفهم النص القرآني، لذلك يقول الواحدي:" إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو و الأدب فهما عمدتاه، و أحكام أصولهما و تبع مناهج لغات العرب" (١). و يقول في موضع آخر:" من تأمل مصنفات المفسرين و وقف على معاني أقوالهم لم يقف على معاني كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو"(٢).و دور النحو في التفسير قد أجمع العلماء على أهميته و فائدته يقول الزركشي: و على الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة وصيغتها و محلها لكونها مبتدأ أو خبراً، أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك من تعريف أو جمع أو قلة أو كثرة إلى غير ذلك(٣). و السيوطي يبيِّن أهمية النحو والإعراب و ضرورة الإلمام بهما يقول: و من فوائد هذا النوع معرفة المعنى لأن الإعراب يميز المعاني و يوقف على أغراض المتكلمين(٤) على أن تجنّب

١ - الواحدي: البسيط ٢/١ .
٢ - الواحدي: نفسه ٦/١ .
٣ - الزركشي: البرهان ٣٠٢/١ .
٤ - السيوطي: الإتقان ٢٦٠/٢ .

الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة، لأن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش و تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، و لا يجوز إطلاقه إلا بتأويل(١).

٢. تقويم اللسان و الحفاظ على اللغة من اللحن و سلامة التنزيل، يقول ابن قتيبة قال ابن شبرمة: إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا، ويصغر في عينك من كان عظيما فتعلم العربية، فإنها تجريك على المنطق و تدنيك من السلطان و يقال: النحو في العلم بمنزلة الملح في القدر و الرامك في الطيب، و يقال: الإعراب حلية الكلام ووشيه وقال بعض الشعراء :

النحو يبسط من لسان الألكن ★★★★ و المرء تكرمه إذا لم يلحن

و إذا طلبت من العلوم أجلها ★★★★ فأجلها منها مقيم الألسن(٢)

فلقد كان لانتشار الإسلام خارج بلاد العرب و اختلاط العرب بالعجم و حدوث التفاعل بين العربية و بين لهجات الأمم المجاورة أن زادت العامة بعداً عن الفصحى. إلى أن تم تخلّق اللهجات العامية التي نعرفها الآن في العالم العربي متخلصة تمام من الإعراب(٣).فاللغة العربية المضرية المتمثلة في القرآن الكريم و الشعر الجاهلي كانت لغة معربة ما في ذلك ريب، و لكن بعد نهضة الأمة العربية نهضتها الكبرى تحت راية القرآن وفتحت الفتوح الكبيرة و خالط العرب كثيراً من الأمم الآسيوية و الأفريقية تشعب منها عدة لغات عامية، كعامية مصر و العراق و سورية و المغرب، و قد لوحظ أن هذه اللغات العامية تتلون دائما بألوان البيئة الاجتماعية، و ما فيها من مؤثرات كما تخضع لتأثر الأحداث المفاجئة ، فتستحيل بعد قليل من الزمن إلى رطانات إقليمية غامضة، لا يكاد يفهما إلا الذين يتكلمون بها ....

١ -. الزركشي: البرهان ٣٠٤/١ – ٣٠٥.
٢ -. ابن قتيبه: عيون الأخبار ١٥٧/٢.
٣ - أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم ١٢.

ولولا اللغة الفصيحة تربط بين المثقفين من أهالي هذه البلاد لانقطعت الصلات و أمحت الوشائج[١].

و من أجل هذا نشطت للدفاع عن ذلك مدرستي البصرة و الكوفة و جمعت بينهما المدرسة البغدادية، و نشطت في مقابل المدرسة البغدادية المدرسة المصرية التي نبتت عند النحاس و الإدفوي، و نمت و ازدهرت عند الحوفي الذي جمع بين تلك المذاهب و جعل من تفسيره موسوعة نحوية حافلة بشتى المباحث و أضراب الآراء، فلم يترك مجالا للبحث النحوي في موضع التنزيل إلا و قد سبر أغواره و غاص في قراره.

٣. الوقوف أمام متأولي النص القرآني من مثل أصحاب المذاهب المتعددة و الفرق المختلفة من أصحاب المذهب الشيعي الذي نما و ازدهر في العصر الفاطمي و هو عصر الحوفي و الدهرية و منكري قدرة الله عز و جل بما سوف نبيِّنه في موضعه.

و كما أن اللغة عندما تعرب تكون قد وصلت إلى درجة الكمال و يكون الإنسان الذي يتكلم بها قد وصل إلى درجة الكمال العقلي و النمو الفكري، فكتابة لغة معربة أو النطق بلغة معربة يتطلب ذهنا واعيا و عقلا ناميا ليطابق بين المعاني التي في نفسه و بين الرموز التي على أواخر الكلمات المنطوق بها، و تلك الرموز التي تدل على ما يريد إظهاره من المعاني، فالإعراب ظاهرة تمثل قمة التطور اللغوي عند الإنسان[٢].

لكن هل قصد الحوفي بصنيعه هذا و هو: أن يبدأ تفسيره لكل آية بالقول في الإعراب، هل قصد الإعراب و هو ضبط أواخر الكلم أم قصد النحو بمعناه الواسع ؟

المطلع على معالجات الحوفي لهذا الجانب يلاحظ أن الحوفي قصد بتلك المعالجات النحو بمعناه الواسع الذي بيّنه ابن جني : يقول: هو انتحاء سَمْت كلام العرب

١ - ابن جني: سر صناعة الإعراب: مقدمة الناشرين٦.
٢ - د.أحمد سليمان ياقوت: المرجع السابق ٣ .

في تصريفه من إعراب وغيره، وذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شدَّ بعضهم عنها رُدّ به إليها ، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً ، كقولك : قصدت قصدًا ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم [1] .بهذا أن لنا أن الإعراب فرع من فروع النحو ، فإذا كان الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ[2].

كان الاهتمام به عند من يبحث عن فهم المعنى أولي من غيره ، ولهذا أطلق الحوفي على مباحث النحو الإعراب لأهمية .ولما كانت العلاقة بين القرآن والإعراب علاقة وثيقة متينة تتضح في كثير من المظاهر، ولقد كان معظم القراء من النحاة ، وكان كل منهم يُقَعِّد لقراءته ،وكان نقط القرآن على يد أبي الأسود – إعرابا – هو الذي دعا إلى نشأة النحو وآيات القرآن يستشهد بها في كل الأبواب النحو وعند كل النحاة تقريبا وكل كتب التفاسير تتعرض للإعراب في الكلمات والجمل ، حيث انه مرتبط بالمعني[3].

ولما كان الإعراب مرتبطا بالمعني ، بل أن الإعراب من أهم الأدوات التي تعين المفسر على فهم المعنى ، فقد جاءت عناية الحوفي بالإعراب مقدمة على أداة أخرى والمطلع على التفسير يري قد برع في تفسير الآيات القرآنية تحليلا إعرابيّا دقيقًا مستنبطا من ذلك التحليل المعنى الذي يتطلبه سياق الآية القرآنية ، منتهيا إلى القاعدة النحوية عن طريق هذا التحليل مما يدل على موسوعية الحوفي النحوية . والأمثلة التي جاءت في تفسيره كثيرة فهو لم يترك آية على مدار النص القرآني إلا وسبر أغوارها وحللها تحليلا نحويا دقيقا نكتفي بذكر بعض الأمثلة لكي تتضح لنا شخصية الحوفي كنحوي ولكي نقف على

١- ابن جني : الخصائص ٣٤/١.
٢- ابن جني : نفسه ٣٥/١.
٣ - د. أحمد سليكان ياقوت: نفسه ١٨٧.

منهجه الذي سلكه في تفسيره بالناحية الإعرابية التي استخدمها وسيلة لفهم المعنى ، لابد أن نبيّن للقاري صنيع الحوفي من خلال عرض مثال أو مثالين ثم نفصّل القول بعد ذلك في كيفية استخدامه للنحو في فهم المعنى .

ففي قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١)، يقول فأزلهما من أزلته فزل ، وأزلهما من أَزلّتَهَ فزل ، يعضكم مبتدأ لبعض حرف الجر متعلق بعدو ، الذي هو خبر المبتدأ والجملة في موضع الحال من الضمير في اهبطوا كأنه والله اعلم اهبطوأ متباغضين والعامل في الحال اهبطوا ولم يحتج في الجملة إلى حرف العطف لما فيها من راجع الذكر و الذكر يعلق الجملة بالجملة كما يعلقه حرف العطف وكل وبعض يجوز أن يجيء جوابهما مفرداً ومجموعاً وهما يضافان إلى الجمع وإلى المفرد بمعنى الجمع وترد عليهما بالمفرد والجمع فالمفرد على اللفظ والمجموع على المعنى قال تعالى :"وكلهم آتيه " على الإفراد ، وفي موضع آخر :"وكل آتوه" على الجمع وقوله ولكم في الأرض مستقر" مستقر رفع بالابتداء ولكم في الأرض متعلق بمستقر ولكم متعلق بالاستقرار المقدر (٢)

ويقول : الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة نظائر ونقيض الخطيئة الإصابة والهبوط والنزول والوقع نظائر في اللغة ،ونقيض النزول الصعود ، والعداوة والمباعدة نظائر في اللغة ، ونقيض العَدّو الوَلي ، والقرار والثبات والبقاء نظائر ، ونقيض القرار الانزعاج ونقيض الثبات الزوال ونقيض البقاء الفناء ، والاستمتاع والاستلذاذ والاستنفاع نظائر وكذلك المتاع والمتعة ونقيض التلذذ التألم والحين والمدة والزمان نظائر ، والحين هو الوقت الطويل ، وقوله فأزلهما أي كان سببا لزلهما كما تقول لمن يعلمك بشيء أنت أوقعتني في

١ - سورة لبقرة آية ٣٦.
٢ - الحوفي: البرهان ١٣٢/١.

كذا وكذا أي كنت سببًا في ذلك واصل الزيال التنحي [1] وفي قوله تعالى﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [2]

يقول :يا حرف نداء وأي منادي وها تنبيه والناس نعت لأي ، إني رسول الله إليكم جميعا إليكم متعلق برسول جميعًا نصب على الحال الكاف والميم والعامل في الحال معني الرسالة ، الذي في موضع النعت لاسم الله عزوجل ، ملك السموات والأرض رفع الابتداء ، وله اللام متعلقة بمعنى الاستقرار والجملة في صلة الذي ، لا إلَه ، يحيي ويميت في موضع الخبر لأن لا إله في موضع رفع الابتداء ،وإلا هو بدل على الموضع والجملة أيضا في موضع النعت لاسم الله عزوجل ، فامنوا إلغاء جواب الإخبار بما اخبر به ، بالله متعلق بآمنوا ورسوله عطف ، النبي نعت للرسول وكذا الأمي ، وكذا الذي يؤمن بالله ، وكلماته في صلة الذي ، بالله متعلق بيؤمن ، وكلماته عطف على اسم الله ، واتبعوه عطف على فآمنوا والسماء عائدة على الرسول ، لعلكم تهتدون ، لعل متعلقة اتبعوه والكاف والميم اسم لعل وتهتدون الخبر ،ومن قوم موسى امة يهدون بالحق :أمة رفع بالابتداء والخبر ومن قوم

١ - الحوفي نفسه ١٣٢/١، ١٣٣.
٢ - سورة الأعراف ، آية ١٥٨،١٥٩،١٦٠.

موسى ومن متعلقة بالاستقرار ويهتدون نعت لأمة وبالحق متعلق بيهدون وبه يعدلون عطف على يهدون ، وبه متعلق بيعدلون والهاء يرجع إلى الحق وقطعناهم فعل ماضي والهاء والميم نصب بقطعناهم ورجوعهما على قوم موسى ، اثنتي عشرة أسباطا مفعول ثان لقطعناهم أي جعلناهم اثنتي عشرة ، ولم يجعله تفسيرًا ويجوز أن يكون على الحذف والتقدير اثنتي عشرة فرقة أسباطا نصب في البدل من اثنتي عشرة ، ولم يجعله نعت لفرقة ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ،أمما نعت لأسباط وأنث العدد وهو واقع على الأسباط وهو مذكر بمعنى فرقة أو أمة فأنث العد لأرادة ذلك كما قال :

ثلاثـــة أنفـــس وثـــلاث ذود ✶✶✶✶ لقـد جـار الزمـان علـى عيـالي

فذكر الأنفس أراد رجالا وكما قال الشاعر:

وان كلابا هذه عشرة أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر

فذهب إلى الباطل إلى القبيلة ، والأسباط جمع سبط وهم الفرق ، والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل وهو مأخوذ كم السبط ضرب الشجر فجعل الأب الذي يجمعهم كالشجرة التي تتفرع عنها الأغصان الكثيرة ، وأوحينا عطف على قطعنا ، وإلى متعلق بأوحينا، إذا متعلقة بأوحينا أن اضرب ، وبعصاك متعلق باضرب فانبجست الفاء جواب الأمر والتقدير فضرب فانبجست وحذف للعلم به ، منه متعلق فانبجست مشربهم نصب بالعلم ، مشربهم اصب بعام ، وظللنا عليهم متعلق بأنزلنا والمن نصب بأنزلنا والسلوى عطف عليه ،من طيبات : من متعلق بكلوا ، مما رزقناهم ما بمعنى الذي بموضع خفن بإضافة طيبات إليها رزقناكم في صلة ما التقدير رزقنا كموه ، وما ظلمونا ما حرف نفي ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون : لكن حرف استدراك يقع بعد النفي وأنفسهم نصب وأنفسهم نصب بيظلمون (١).

١- الحوفي :البرهان ١٢/١٣-٣٣.

هكذا جاءت عناية الحوفي النحوية وتحليله الإعرابي على مدار النص القرآني [١].

(٣)

والحوفي ببراعته النحوية وتحليله الإعرابي الدقيق يقف على المعنى حسب تخريجاته النحوية.

ففي قوله تعالى:﴿ ....لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ.... ﴾ [٢] يقول :" إلا الذين ظلموا" الذين نصب على الاستثناء المنقطع مثل ماضر إلا ما نفع ، وما زاد إلا ما نقص ، ومنه قوله تعالى:﴿ ....مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ.... ﴾ [٣] .وكذلك المعنى في(... إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...) [٤] لمن الذين ظلموا منهم متعلقون بالشبهة ويضعونها موضع حجه كما قال النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهَم ★★★★ بهن فلولٌ من قراع الكتائبِ [٥]

جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة وان كان ليس بعيب كأنه يقول : إن كان فيهم عيب فهذا ليس بعيب فإذن ليس فيهم عيب ، وكذا إن كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجاجه ولا حجة له فليس عليهم بحجة وإنما ذكرت هذا وشرحته لتعلم أن الاستثناء المنقطع لابد أن يتعلق بما قبله بوجه ما وكذلك كل ما يقع في كتاب الله وفي الكلام فهذا معناه فتأمله فإن فيه دقة ، فإن جعلت الحجة بمعنى المحاجة كان استثناء متصلا لأن المحاجة تكون أيضا بالباطل ، وقال أبو عبيدة : إلا بمعنى الواو وأنشد أبياتاً

١- راجع ملحق الرسالة /الإعراب .
٢- سورة البقرة آية ١٥٠.
٣- سورة النساء آية ١٥٧.
٤- سورة البقرة آية ١٥٠.
٥- ذكره ابن منظور في لسان العرب مادة "فلل"..

تخرج على الاستثناء المنقطع وفيما قال : من أن إلاَّ بمعنى الواو بطلان المعاني لجواز ذلك لجاز أن تقول : لفلان عند فلان مائة إلاَّ عشرة تعني مائة وعشرون وهذا بطلان البيان (١).

ففي هذه الآية تظهر براعة الحوفي النحوية حيث خرَّج المعنى حسب مقتضيات النحو مستشهدا على ما يقول على ما جاء في سياق النص القرآني نفسه وبما جاء في كلام العرب ويبطل ما جاء به أبو عبيدة .

وفي قوله تعالى﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (٢).

يقول : وقولهم فما أصبرهم على النار ما أحتمل وجهين أحدهما أن يكون استفهامًا والأخر أن يكون تعجبًا وهي في الموضعين اسم تام في موضع رفع بالابتداء وأصبرهم الخبر وعلى النار متعلق بأصبر ، فإذا كانت استفهاما كان التقدير : أي شيء أصيرهم على النار لأن صبر فعل غير متعد ثم عديته بالهمزة كأنك استفهاما كان التقدير أي شيء أصبرهم على النار لأن صبر فعل غير متعد ثم عديته بالهمزة كأنك قلت : شيء أصبرهم أو صبَّرهم والهاء والميم نصب بأصبرهم لتعديه بالهمزة ودخل الكلام من الاستفهام معني التوبيخ ، وإذا كانت تعجبًا كانت فعل أيضا متقولاً بالهمزة كما تقول ما أحسن زيدًا وما أحسن بكرًا فخروجه عن العادة المألوفة من الحسن والظرف أوجب تعجبك منه والهاء والميم أيضا نصب بأصبر ، وهذا التعجب يجري على التعارف من لغة العرب كما قال :"وان تعجب فعجب قولهم "، وكل هذه الأشياء من التعجب والاستفهام مخرجها من الله عز وجل خلاف مخرجها من المخلوقين كالاستهزاء والمخادعة والكر وما أشبه ذلك (٣).

١- الحوفي: البرهان ٣/٥.
٢- سورة البقرة آية ١٧٥.
٣- الحوفي: البرهان ٣//٤٣-٤٤.

فالحوفي بهذا يبيّن عن طريق التقدير الإعرابي ،وفي قوله تعالى(... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)(١).

يقول:فأولئك الفاء وما يعدها جواب الشرط وأولئك رفع الابتداء وحبطت أعمالهم الخبر، وفي الدنيا متعلق بأعمالهم ،والأخر عطف على الدنيا والهاء والميم يرجعان إلى أولئك و أولئك ابتداء أيضا أصحاب النار خبر أولئك هم ابتداء فيها خالدون خبر الابتداء و فيها متعلق بخالدون، أولئك و الثاني و ما تعلق به معطوف على أولئك و الأول جملة معطوفة على جملة و الواو علقت الثانية بالأولى و أولئك إشارة فيهما إلى مَنْ على المعنى، وفيمت ردَّ على اللفظ و ما عملت في كتاب الله عز و جل رداً على المعنى و بعده رد اللفظ إلاَّ في سورة الطلاق في قوله﴿ رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾(٢).

فقال خالدين على المعنى ثم قال: قد أحسن الله له رزقا على اللفظ(٣). فهو يخرج المعنى حسب مقتضيات النحو.

و في قوله تعالى ﴿ ...فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً....﴾(٤).

يقول، يخشون خبر فريق، الناس نصب بيخشون، كخشية الله الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقدير: خشية كخشية الله . أو أشد خشية، أشد عطف على المصدر المحذوف و يجوز أن يكون عطفا على خشية، الله في موضع خفض إلاَّ أنه لا

١ - سورة التوبة آية ٦٩.
٢ - سورة الطلاق آية ١١.
٣ - الحوفي: البرهان ٨٨/٤.
٤ سورة النساء آية ٧٧.

ينصرف و خشية منصوب على البيان و العامل في لَّما معنى يخشون و هو العامل في إذا بتقدير الاستقبال و هذه الآية مشكلة الإعراب لأن فيها ظرفين أحدهما لماضي والآخر لما يستقبل فجعل جواب ما معنى الاستقبال إذ أخبر عن القوم بالاستقبال و هو قوله يخشون، و العرب قد تفعل هذا فتخبر عن الماضي بالمستقبل فيقولون: ما زال يفعل كذا و جعل يفعل كذا و طفق و ظل لم ينزل و كذلك رأيته يصلي و تركته يحدث أصحابه و إن كان ذلك فيما تقدم من الزمان و تقضى، و هذا في أفعالنا يقع على التأويل، فأما في قول الله عز و جل﴿ ....ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ.... ﴾ (١).

فخبر بالماضي عما يستقبل و قال ﴿ ....فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ....﴾ (٢).و سوف للمستقبل و إذ لما مضى. (٣)

و في قوله تعالى﴿ ....قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤).

يقول و أن أقيموا الصلاة في أن ثلاثة أوجه:

يجوز أن يكون المعنى أمرنا لأن نسلم و أن أقيموا الصلاة، و يجوز أن يكون المعنى وبأن أقيموا الصلاة فيكون في هذين بالتقدير على حذف الحرف في موضع نصب لَّما حُذِفَ وصل الفعل إليهما، و يجوز أن يكون عطف على المعنى أي يدعونه إلى الهدى ويدعونه أن أقيموا الصلاة لآن معنى ائتنا أن ائتنا، و قال المبرد: أن معطوفة على اللام من لنسلم على معناه، و أن نسلم لأن اللام و أن بمعنى يطلبه كل واحدة منها للمستقبل (٥).

---

١ - سورة المائدة آية ١١٦.
٢ - سورة غافر آية ٧٠، ٧١.
٣ - الحوفي: البرهان ٩/٨.
٤ - سورة الأنعام آية ٧١، ٧٢.
٥ - الحوفي: البرهان ٧٢/١٠.

وقول الحوفي يتفق مع ما قال به الفراء والنحاس، فالنحاس يقول فيه ثلاثة أقوال فمذهب الفراء أن المعنى و أمرنا أن نسلم و أن أقيموا، والجواب الثاني، أن يكون المعنى وبأن أقيموا الصلاة والثالثة: أن يكون عطفا على المعنى أي يدعونه إلى الهدى و يدعونه أن أقيموا الصلاة لأن معنى ائتنا أن ائتنا(١).

والحوفي ببراعته النحوية يخرج القراءة والمعنى حسب مقتضيات النحو، ففي قوله تعالى﴿ ....هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ.... ﴾ (٢).

يقول: فمن رفع رفع على الابتداء والخبر والتقدير هذا اليوم يوم منفعة صدق الصادقين، والنصب على الظرف والتقدير، هذا لعيسى يوم ينفع الصدق صدقهم و إن شئت هذا الأمر أو الشأن ينفع الصادقين وليس يقول من قال هو مبني بجيد لأن الظروف لا تبنى إلا أن تضاف إلى اسم غير متمكن أو فعل غير مضارع لأن الظروف لما ضعفت في الاسمية و أضيفت إلى غير متمكن زادها ذلك ضعفاً فتبنى لقوة الضعف و يجوز مع ذلك البناء و تركه لقوتها في الاسمية (٣).

وفي قوله تعالى﴿ ....وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

يقول: قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر إنها بكسرة الهمزة، والباقون بفتحها فالكسر على الاستئناف، قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله: و ما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل، فقال لا تحسبن ذلك في هذا الموضع و إنما قال:

١ - النحاس: إعراب القرآن ٧٤/٢ ، الفراء: معاني القرآن ٣٣٩/١.
٢- سورة المائدة آية ١١٩.
٣ - الحوفي: البرهان ٧/١٠.
٤- سورة الأنعام آية ١٠٩.

و ما يشعركم ثم ابتدأ فأوجب فقال أنها لو قال إنها لكان عذراً لهم، يريد أن تكون إن و ما عملت فيه فاعلة و كسرت على الاستئناف لهذا، و فاعل يشعركم مضمر والتقدير أي شيء يشعركم، و من فتح جعل أن بمعنى لعل و أنشد الأخفش:

قلت لشيبان أدن من لقائه ★★★★ أنا نغدي القوم من شوايه

و من قال لا زائدة و أن على بابها فليس بشيء لأن ما كان لغواً لا يكون غير لغو لأن من قرأ بالكسر فلا غير لغو لئلا يكون الكلام معناه مرة النفي و مرة غير نفي توجه المعنى على غير الزيادة ولكن يجوز أن يكون الكلام بها على بابها و يكون الكلام حذف التقدير: ما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون و لا تؤمنون "، و يجوز أن تكون أن في موضع المفعول من أجله و الكلام محمول على أنه من عند الله و التقدير: قل إنما الآيات عند الله لا يظهرها أو لا يأتي بها، لأنها لو جاءت لا يؤمنون أي ولا يتوهمونها فليس يأتي بها لإصرارهم على كفرهم عند ورودها و يدل على هذا التقدير" وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ"(١). والحوفي بهذا يوجه القراءات حسب متطلبات النحو و حملا على المعنى و هذا الجانب أصل في فهم المعنى و قد شغل جانباً كبيراً من تخريجات الحوفي لجانب القراءات (٢).

و الحوفي ببراعته النحوية يخرج الحكم الفقهي حسب مقتضيات النحو، ففي قوله تعالى ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ.... ﴾(٣).

فبعد أن بيَّن الأقوال التي جاءت في هذا الجانب يقول: و أجمع هذه الوجوه أن يكون المعنى أنَّى شئتم أي من أي وجه شئتم لأن أَنَّى إذا أُبْتُدِئَ بها كان معناها من أي

١- الحوفي: البرهان ٧٩/٢، سورة الإسراء آية ٥٩.
٢- الحوفي: البرهان ٦٠/٢، ١٠٦، ١٢٤. ٢/٣، ٤، ١٧، ٢٩. ٥٢/٤و قد سبق الإشارة إلى ذلك في القسم الأول.
٣- سورة البقرة آية ٢٢٣.

الوجوه فصارت بمعنى أين و كيف، و قال بعضهم قد جاء الفرق بين أنى و أين و أنشد قول الكميت:

أنــى و مــن أيــن آابــك ا لطــربُ ★★★★ مــن حيــث لا صــبوةٌ و لا ريــب

فجعل أنى سؤالا عن الوجوه و أين سؤالا عن الأمكنة(١).

و هذا القول في معنى أن أجمع عليه العلماء فقالوا: أنَّى مشتركة بين الاستفهام و الشرط ففي الشرط تكون بمعنى أين نحو: أنى يقم زيد يقم عمرو، و تأتي بمعنى" كيف كقوله تعالى(...أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا...)(... فَأَنَّىٰ لَهُم...) (٢)(...فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ) (٣) فأتوا حرثكم أنى شئتم أي كيف شئتم مقبلة و مدبرة(٤)، و قال ابن فارس و الأجود أن يقال في هذا أيضا " كيف "(٥) فهو في هذه كيفية تعلقها بغيرها من الكلمات التي وردت في الآية ليقف بذلك على المعنى، والأمثلة على ذلك كثيرة ففي قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٦)

يقول:هذا و هو رفع بالابتداء.

١- الحوفي: البرهان ٤٠/٤، سورة البقرة آية ٢٥٩.
٢- سورة محمد آية ١٨.
٣- سورة الأنعام آية ١٨.
٤- الزركشي: البرهان ٢٤٩/١.
٥- الزركشي: نفسه ٢٤٩/٤و ابن فارس: فقه اللغة ١١٣.
٦- سورة الأنعام الآيات ٧٣، ٧٤، ٧٥.

الذي خلق السموات و الأرض خبر الابتداء ، بالحق متعلق بخلق و يوم يقول كن فيكون : يوم إن عطفته على الهاء من واتقوه كان التقدير: واتقوه يوم يقول، و إن عطفته على السموات كان العامل تقديره خلق السموات و الأرض و خلق يوم يقول ويجوز أن تضمر فعلا غير ما ذكرنا و تقديره واذكر، و كن أمرا مستأنفا أي إذا قال كن فهو يكون يجوز أن يكون المقول له كن الصور فيكون الصور، و يجوز أن يكون المقول له جميع الأشياء فيكون جميع ما أراد من موت و حياة و غير ذلك و ذكر ذلك ليدل على سرعة البعث و الساعة كأنه يقول للخلق موتوا فيموتون و انتشروا فينتشرون فيكون قوله على هذا رفعا بالابتداء و الحق خبره و يجوز أن يرتفع قوله بيكون أي بيكون أي فيكون قوله، و الحق نعت لقوله أي يأمر فيقع أمره و الهاء في قوله عائده على الرب تعالى وله الملك يوم ينفخ في الصور: الملك رفع بالابتداء و له الخبر متعلق بمعنى الاستقرار،وكذلك يوم ينفخ في الصور ذكر ذلك و هو المالك للأشياء في يوم النفخ في الصور وغيره لأنه يوم لا يدعي فيه أحدا ملكاً سواه، و يجوز أن يكون اليوم بدلا من يوم يقول، و يجوز أن يكون متعلقا بقوله: قوله الحق يوم ينفخ في الصور و ينفخ فعل مستقبل لما لم يسم فاعله و في الصور في موضع اسم ما لم يسم فاعله، عالم الغيب و الشهادة ويجوز في عالم أن يكون نعتاً للذي خلق السموات و الأرض، و يجوز أن يرفع على إضمار مبتدأ و يجوز أن يكون محمولا على المعنى كأنه قيل مَنِ النافخ فقيل عالم الغيب و الشهادة،ويجوز أن يكون عالم الغيب رفع بيقول أي و يوم يقول عالم الغيب و الشهادة للشيء كن فيكون و هو الحكيم الخبير ابتداء و خبر، و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر، إذ ظرف العامل فيه فعل محذوف تقديره: و أذكر إذ قال إبراهيم و دلَّ هذا أيضا على إضمار اذكر له يوم يقول لأبيه متعلق به فقال آزر بدل من أبيه إلاّ أنه ينصرف لأنه على وزن أفعل معرفة ومن جعله اسم لصنم نصبه بإضمار فعل تقديره: أتتخذ

آزر و تجعل أصناما بدل من آزر وتجعل آزر اسم جنس حتى يصح بذلك الجمع منه و قرأ الحسن آزر بالرفع على نداء المفرد، و يجوز نصب أصناما بتتخذ الظاهر والتقدير: أتتخذ أزر ثم قال بعد أن قال: اتتخذ آزر إلها أتتخذ أصناما آلهة، أتتخذ دخلت ألف الاستفهام على تتخذ للتقرير أصناما نصب بتتخذ آلهة مفعول ثاني لتتخذ، إني أراك و قومك في ضلال مبين، الياء اسم و إن و أراك الخبر و قومك عطف على الكاف في متعلق بأراك، مبين نعت لضلال، و كذلك نري إبراهيم ملكوت السموات و الأرض" ، الكاف للتشبيه و العامل فيها نرى أي شبه رؤيته لملكوت السموات و الأرض كشبه رؤيته لاستقباح ما كان عليه أبوه و قومه من عبادة الأصنام و ذلك إشارة لهذا المعنى و ملكوت نصب بنُري و التقدير أريناه ذلك، وليكون إبراهيم مفعول و ملكوت مفعول ثان و ليكون لام كي ويكون نصب بها و هي متعلقة بنُري و اسم كان مضمر فيها، و من الموقنين الخبر، و العامل في من معنى الاستقرار و التاء و الواو في ملكوت زيدتا للمبالغة لأنه من الملك، و كذلك رهبوت من الرهبة ورحموت من الرحمة [1].

و هو في معالجاته النحوية يجمع بين شتى الاتجاهات فنراه تارة يرجح مذهباً نحوياً على آخر، وأخرى يجمع بين المذهبين في المسألة الواحدة.

ففي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ .. ﴾ [2]،يقول أولئك رفع بالابتداء و الذين مع صلته خبر الابتداء [3].

و هو بذلك يخالف المذهب الكوفي القائل بأن: المبتدأ يرفع الخبر و الخبر يرفع المبتدأ، فهما يترَفعان، و ذلك نحو " زيد أخوك"، " عمرو غلامك "[4]، يؤيد المذهب البصري

١- الحوفي: البرهان ٧٥/١٠.
٢- سورة البقرة آية ١٦.
٣- الحوفي: البرهان ٦٤/١.
٤- أبو البركات بن الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٤/١.

القائل: بأن المبتدأ يرفع بالابتداء [1]. وهو في نفس الآية يرجح المذهب الكوفي دون البصري يقول: إن " الضلالة " نصب باشتروا[2]، فهو يجعل العامل في المفعول هو الفعل والفاعل، ولقد ذهب الكوفيون إلى أن العاملَ في المفعولِ النصبَ الفعلُ والفاعلُ جميعا نحو: " ضربَ زيدٌ عمراً" ويخالف المذهب البصري القائل بأن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول معا[3]، وفي نفس الآية يجمع بين المذهبين البصري والكوفي. ففي قوله تعالى:"اشتروا " يقول وضم الواو لالتقاء الساكنين ، وفي اختيار الضم أربعة أقوال قال سيبويه: ضمت فرقا بينهما وبين الواو الأصلية نحو وأن لو استقاموا" وقال الفراء: كان يجب أن يكون قبلها مضموما، لأنها واو جمع فيكون " اشتريوا" فاستثقلوا الضمة على الياء فحذفت وحذفت الياء لالتقاء الساكنين فلما احتاجوا إلى حركة الواو الساكن الذي بعدها حركوها بالحركة المحذوفة هذا معنى قوله. و قال ابن كيسان: الضمة في الواو أخف من غيرها، لأنها من جنسها. قال أبو إسحاق: هي واو جمع حركت بالضم، كما فعل في نحو[4].

والحوفي بهذا جمع بين قول سيبويه والفراء وسيبويه[5] بصرى والفراء [6] كوفي كما جمع بين قول ابن كيسان والزجاج، وابن كيسان[7] يجمع بين النزعتين

١- ابن الانباري: نفسه ٤٤/١.
٢- الحوفي: البرهان ٦٤/١.
٣- ابن الانباري: السابق ٧٨/١.
٤- الحوفي: البرهان ٦٤/١.
٥- سيبويه :
عدَّه أبو بكر الزبيدي في كتابه " طبقات النحويين و اللغويين" في الطبقة السادسة من نحاة البصرة و قال عنه : هو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن غُلَة بن جلد بن مالك بن أزد أخذ عن الخليل و توفي سنة ١٨٠ هـ . " طبقات الزبيدي ٦٦/ ٧٢ "
٦- الفراء :
عدَّه الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الكوفة و قال عنه : هو أبو زكريا يحيى ابن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي الفراء و كان أبرع الكوفيين في علمهم توفي سنة ٢٠٧ هـ.الطبقات (١٣١ – ١٣٢)
٧- ابن كسيان :
عدَّه الزبيدي في الطبقة السادسة من نحاة الكوفة قال عنه : أنه ابن الحسن محمد بن أحمد الكيسان، كان بصرياً كوفياً يحفظ القولين و يعرف المذهبين توفي سنة ٢٩٩ هـ (طبقات الزبيدي ١٥٣)

والزجاج[1] نزعته بصرية .

و هو في هذا الصنيع لا يرصد الأقوال بل يحدد مفهومه أولاً ثم يأتي بالأقوال بعد ذلك سواء كانت تلك الأقوال مؤيدة أو مخالفة، فهو في هذه الآية لم يذكر تلك الآراء إلا بعد ذكر رأيه يقول" في قوله تعالى:"... ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ ..." [2] و ضم الواو لالتقاء الساكنين و الملاحظ أن الحوفي قد تغلبه ثقافته اللغوية فيستطرد من استخدام النحو في توليد المعنى و استنتاجه إلى العناية بالقاعدة النحوية ليصبح نحوا نظريا أحيانا، ولكي يتبين لنا هذا سوف نعرض صنيعه في آية واحدة ثم نمثل لاهتماماته بالقاعدة على مستوى تفسيره :

ففي قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [3]

يقول: ذلك اسم مبهم لأنه غير متمكن لا يثبت على المسمى في الغيبة و الحضرة كما تثبت الأسماء و إنما هو اسم موضوع للإشارة فبني لهذه العلة، و قيل بني لتعلق فائدته بمعنى الإشارة فصارت فائدته بغيره فأشبه الحروف التي فائدتها مقترنة بغيرها و هذا الاسم محذوف اللام و هي ياء و الدليل على أنها ياء جواز الإمالة في ذا فدلت على أن العين ياء و إذا ثبت العين بأنها ياء وجب ألا تكون اللام واو، قال سيبويه ليس في الكلام مثل حيوت، فالاسم ذا و الكاف للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، اللام يدل على الترخي و هي لام توكيد وَكُسِرَتْ فرقا بينها و بين لام الجر في ذلك، و ذلك في موضع بالابتداء و الكتاب نعت له و لا ريب فيه خبر كأنك قلت: ذلك الكتاب حق، و يجوز أن يكون ذلك خبر ابتداء محذوف و التقدير هذا ذلك الكتاب ، و يجوز أن يكون خبر ألم و هدى للمتقين خبر بعد خبر، و يجوز أن يكون ذلك في موضع رفع بالابتداء والكتاب خبره و لا ريب فيه

١- الزجاج :
عدّه في الطبقة التاسعة من نحاة البصرة و قال عنه : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج توفي سنة ٣١٦ هـ (طبقات الزبيدي ١١١ – ١١٢)
٤- الحوفي: البرهان ٦٤/١.
٥- سورة البقرة آية ٢ .
٢- سورة البقرة آية ١٦.
٣- سورة البقرة آية ٢.

هدى للمتقين نصب على الحال كأنك قلت : ذلك الكتاب حقا ذا هدى و العامل في الحال الإشارة، و لا ريب مبني مع لا، و لا تبنى مع النكرات كقولك ، لا رجل و لا غلام و إذا حيل بينها و بين ما تدخل عليه لم تعمل و كذلك إذا دخلت على المعارف لم تعمل شيء و يبنى الاسم معها بناء خمسة عشر على الفتح وموضعه رفع فإن نعته جاز فيه ثلاثة أوجه: البناء و النصب على اللفظ لشبهه بالمعرب والرفع على الموضع تقول: لا رجل ظريف فتبنى ظريف مع الرجل، ولك أن تقول: لا رجل ظريفا ولك أن تقول لا رجل ظريف على موضع رجل وهدى اسم مقصور لا يتبين فيه إعراب فهو في الرفع و النصب و الجر على اللفظ واحد والأصل فيه هدى على وزن فُعَل قلبت ياؤه ألفا لتحريكها و انفتاح ما قبلها فإذا جئت بالتنوين حذفت الألف لسكونها و سكون التنوين و هدى يجوز أن تكون نصبا حالا مع الكتاب و العامل فيه الإشارة و يجوز أن تكون حالا من الهاء في" لا ريب فيه " و العامل في الظرف و هو الاستقرار و يجوز أن تكون رفعا تكريرا لذلك الكتاب و يكون الكتاب لذلك فكأنه الكتاب هدى و يجوز أن تكون خبرا لقوله لا ريب فيه هدى خبر بعد خبر، و كذلك يكون أيضا خبر بعد خبر ل ذلك الكتاب " ، و يجوز أن تكون رفعا على إضمار مبتدأ أي" هو هدى" و اللام فيه للمتقين بهدى و المتقين الأصل فيها " مؤتقين" ثم أبدلت الواو تاء كما أبدلتها في تجاه ثم أدغمت التاء في التاء و استثقلوا الكسرة في الياء التي هي لام الفعل فحذفوا الكسرة فبقيت الياء ساكنة و بعدها الياء ساكنة التي هي علامة الخفض فالتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى لالتقاء الساكنين و لن تحذف الثانية لأنها دليل الإعراب و الجمع، و كذلك المتقون تحذف التاء لسكونها و سكون الواو، و يقال اتقى يتقي اتقاء و توقاه توقيا و أصل متق مأتق فقلبت الواو تاء لأنها سكنت و بعدها تاء مفتعل إذا كانوا يفرون إليها في مثل اتجاه و تراث كراهية للحرة في حرف العلة [1].

١ - الحوفي: البرهان ٣٠/١ .

و هو في إعرابه لهذه الآية- على هذا المنوال على مدى آيات النص القرآني يكشف لنا مسائل النحو المتعددة فيبين لنا العلة التي أوجبت البناء للاسم و هي شبه الاسم للحرف ويعلل ذلك بقوله:"ذلك" : اسم مبهم لأنه غير متمكن لا يثبت على المسمى في الغيبة والحضرة كما تثبت الأسماء، و إنما هو اسم موضع للإشارة فبني لهذه العلة(١). و كما يقول: و قيل بني لتعلق فائدته بمعنى الإشارة فصارت فائدته بغيره؛ فأشبهه الحرف التي فائدتها مقترنة بغيرها(٢).

و هذا ما نوه عنده ابن مالك بشبه الحرف في الافتقار اللازم عليه الإشارة بقوله وكافتقار أصلا " و قول ابن عقيل و ذلك كالأسماء الموصولة، نحو: " الذي" فإنها مفتقرة في سائر أحوالها إلى الصلة فأشبهت الحرف في ملازمة الافتقار فبنيت، و حاصل البيتين(٣).

إن البناء يكون في ستة أبواب:" المضمرات وأسماء الشرط، و أسماء الاستفهام وأسماء الإشارة ، و أسماء الأفعال و الأسماء الموصولة(٤).

و تعليل الحوفي للأسماء الموصولة في قوله(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ...) يقول و الذين خفض بإضافة صراط إليهم و هو اسم ناقص لا يتم إلا بصلة و عائد وهو مبني لأنه لا يتم إلا بالصلة فكأُن بعض الاسم و بعض الاسم لا يستحق الإعراب هذه اللغة الفصحى، و لغة ليست بفاشية ترفع في موضع الرفع و تنصب و تجر(٥). قال الشاعر:

و بنو نويجبة اللذون كأنهم ★★★★ معط مخدمة من الخِزّان(٦)

---

١ - الحوفي: البرهان ٣٠/١ .
٢ - الحوفي: البرهان ٣٠/١ .
٣ - البيتين لابن مالك يقول:
كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا **** و المعنوي في متى و في هنا
و كنابه عن الفعل بلا **** تأثر، و كافتقار أصلا (ابن عقيل ٣٠/١)
٤ - ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك ٣٤/١.
٥ - هذه اللغة هي لغة هزيل يقول الأشموني و بعضهم هم هزيل أو عقيل بالواو رفعا نطقا،" شرح الأشموني ٦٨/١"
٦ - الحوفي: البرهان ٢١/١. الخِزّان جمع خُزَرُ و هو ولد الأرنب و قيل هو الذكر من الأرانب ، و الجمع أخزة و خِزّان" اللسان مادة خَزَرَ "

كما يعلل سبب بناء الظرف، ففي قوله تعالى:

﴿ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ (١).

يقول: " من قبل" من متعلق برزقناه و قبل مبني لأنه جعل غاية للاسم و معنى غاية الاسم أنه حذف ما أضيف إليه فصار ما بقي كأنه غاية الاسم منتهاه و بني على الضم لأنه غاية الحركات فجعلت الغاية للغاية، و قيل أن النصب و الجر كانا يدخلانه في حال إعرابه فأعطى حركة لا تكون له في حالة الإعراب ليعلم أنها حركة بناء لا حركة إعراب، فان قيل لما بني على الحركة و حكم كل مبني السكون ؟ قيل: لما كنت متمكنا قبل البناء و لحقه البناء لأجل ما حذف منه فأشبه الحرف إذا صار كأنه بعض الاسم و بعض الاسم لا يستحق إعرابا بني على حركة ليفرق بين ما يُمَكَّنْ في بعض جهاته و بين ما لم يتمكن في جميع جهاته نحو: كم و من و إذ الذي لم تكن له حالة تتمكن فيها و أختيرت له الضمة لما عرفتك (٢).

و ما يميز منهج الحوفي كعالم نحوي أنه يبيِّن الوجوه الإعرابية في الكلمة الواحدة يعللّ لكل وجه، و لقد بيَّنا ذلك في الآية السابقة وكما قلنا هو على هذا المنوال على مدى آيات القرآن الكريم و لذلك سوف نكتفي بضرب أمثلة فقط شاهداً على صنيعة ففي قوله تعالى(ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ) (٣).يقول ذلكم رفع بالابتداء والخبر محذوف و التقدير ذلكم الأمر، يجوز أن يكون ذلكم الخبر و الأمر الابتداء و جاز حذف أحد الاسمين للإيجاز و الاختصار مع الدلالة عليه، و يجوز أن يكون ذلكم في موضع نصب على إضمار فعل تقديره: فعلنا ذلكم و الإشارة إلى القتل أو إلى بلاء المؤمنين بلاء حسناً (٤).

١ - سورة البقرة آية ٢٥.
٢ - الحوفي: البرهان ٩/١.
٣ - سورة الأنفال آية ١٨ .
٤ - الحوفي: البرهان ٦٦/١٢، ٦٧.

والحوفي دقيق في تقديراته النحوية و تعليلاته، فإذا تعرض لمسألة أجمع عليها النحويون و شذَّ منهم واحد نبَّه عليه وانتصر لرأيه أو ردَّه ففي قوله تعالى:" يا أيها " يقول : واختلف في نعت أي، فالنحويون كلهم يقولون الذي يعمل في المنادى يعمل في نعته إلا الأخفش فإنه قال: أي مبهم يحتاج إلى صلة والذين صلة لأي وهو رفع على إضمار مبتدأ كأنه قال: " يا من هم الذين " وكلهم لا يجيز في نعت " أي " إلا الرفع إلا المازني فإنه يجيز النصب فتقول :" يا أيها الرجل "(١).

والحوفي في بيانه أوجه الإعراب يرجح وجها و يضعف الآخر و يعلل لكل وجه ففي قوله تعالى(...غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) (٢) . يقول: و غير خفض لأنه نعت للذين و يجوز أن يكون بدلا من الذين و من نصب غير فلجهتين أحدهما على الحال من الهاء والميم و إن شئت من الذي فإن كان حالا من الهاء والميم كان العامل أنعمت وكان داخلا في الصلة وهو أظهر و من جعله حالا من الذين حمله على المعنى و نصبه بإهدنا أن التقدير كما هديت الذين أنعمت عليهم وليس بالجيد لأنه إنما يحمل على التأويل دون الظاهر والصواب أن الهاء والميم في عليهم متعلق بأنعمت، و غير إذا كان نعتا للذين فالذين على طريق الجنس وليس يراد به معهود لأن لغير لا تتعرف تعريف العهد لأنها إذا جرت على معرفة غير مؤقتة جاز أن تكون صفة لها و أن تتعرف بالإضافة كقولك إن لأمر بالصادق غير الكاذب فيجري على طريق التنقيض كالصادق والكذاب والبر والفاجر فدلت من طريق التنقيض على الواحد فجاز بهذه الطريقة أن تكون نعتا لغير المؤقت فإنما جعلت حالا، و إن كان مضافة إلى معرفة فإنها لا تتعرف لأنها غير مقصود بها شيء بعينه لأن كل ما غايرك فهو غيرك والوجه الآخر في نصب غير أن يكون على

١ - الحوفي: البرهان ١٠/٣.
٢ - الحوفي: البرهان ٣٣/١.

الاستثناء المنقطع[1]. ووافقه ابن هشام على ذلك غير أن ابن هشام حدَّد أن غير تكون صفة لا حالا ، في حين أن الحوفي حدَّد متى تكون حالا يقول: و لا تتعرف غير بالإضافة لشدة إبهامها، و تستعمل غير المضافة لفظا على وجهين، أحدهما : و هو الأصل أن تكون صفة للنكرة ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[2]، أو لمعرفة قريبة منها نحو (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ..ۙ)(سورة الفاتحة : من الآية ٧) لأن المعرف الجنس قريب من النكرة و لأن غير إذا وقعت بين ضدين ضعف إبهامها، والثاني أن تكون استثناءً فتعرف بإعراب الاسم التالي:" إلاَّ " في ذلك الكلام[3].

و هو يبين انه إذا دخل عامل على عامل فلأيهما يكون العمل ؟ ففي قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

يقول: يقال كيف دخلت إن على لم و لا يدخل عامل على عامل؟ يجب بقوله والجواب أن إن غير عاملة في اللفظ فدخلت على لم، كما لم تدخل على الماضي، و لأن لم حرف نفي فسهل دخولها عليها كما تدخل على حرف النفي ففي قوله تعالى :

﴿ .... إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾[5]، فهو يقارن دخول أن على لم كدخول إن على لا ، ثم ينتقل إلى تعليل لم التي عملت الجزم يقول: و لم تجزم لأنها أشبهت إنْ التي للشرط لأنها ترد المستقبل إلى كما ترد إن الماضي إلى المستقبل و يعلّل سبب عمل إن الجزم يقول : و جزم بإن التي للشرط لأنها تدخل على الفعل فتحتاج إلى جواب

١ - الحوفي: البرهان ٣٣/١.
٢ - سورة فاطر آية ٣٧.
٣ - ابن هشام : مغنى اللبيب١ / ١٥٨.
٤ - سورة البقرة آية ٢٤ .
٥ - سورة الأنفال آية ٧٣ .

فأشبهت الابتداء و الابتداء يلحق معه الأسماء الرفع و هو أول ما للأسماء و كذا مع إن لأن أول ما للأفعال السكون، و قيل لما تعلقت بالشرط،و الجواب وهما يتعلقان بفعلين طال الكلام اقتضى تخيف فخفف ذلك بالحذف. ثم يفرق بين ما يختص به الفعل دون الاسم وهو الجزم مع حركات الإعراب و بيَّن ما يختص من حركات الإعراب، و يبيِّن ما يختص به الاسم و هو الجر يقول:و قيل لما كانت يشترط بها و هو معنى لا يدخل الاسم أي الجزم أعطيت إعرابا لا يكون في الاسم و هو الجزم ، كما أن حرف الجر لما كان في الاسم دون الفعل أعطي إعرابا لا يكون في الفعل(١). فهو لكي يوضح العامل يأتي بمقارنات ليخرج لنا أحكاما نحوية استقرت فيما بعد.

و هو يبيِّن أن الذي يقع عليه الإعراب هو المفرد و ما يقع موقعه ففي قوله تعالى:"ولن تفعلوا " يقول و لن تفعلوا اعترَض بين الشرط و جوابه، و الفعل فيه منصوب "بلن " و علامة النصب حذف النون، ثم يعلل ذلك بقوله: و وقع الاعترَض بين الشرط وجوابه كما يقع الاعترَض بين المبتدأ و خبره في قولك:" زيد فافهم ما أقول رجل صدق " ثم يبيِّن القاعدة النحوية يقول: و لا موضع لهذه الاعترَضات من الإعراب لأن كل جملة لم تقع موقع المفرد فلا موضع لها من الإعراب إذا لم يعمل فيها عامل(٢).

كما يبيِّن أن تغيير الحركة الإعرابية يغير المعنى يقول: والوقود بالفتح الحطب وبالضم الفعل، أي الحدث نفسه(٣).

كما يبيِّن أن البدل منه بدل المعرفة من المعرفة، ففي قوله تعالى(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ...ٓ (سورة الفاتحة : من الآية ٧) يقول : صراط منصوب على البدل من

١ - الحوفي: البرهان ٩١/١ .
٢ - الحوفي: نفسه ٩٢/١ .
٣ - الحوفي: نفسه ٩٢/١ .

الصراط و هذا بدل المعرفة من المعرفة و أصل هذا البدل الذي هو بدل الشيء من الشيء كأنه مجموع خبرين جعلا خبراً واحداً[1].

و الحوفي يكشف عن عديد من القضايا النحوية و يعلّل لها مستنداً على أقوال أئمة النحو و اللغة، ومن تلك القضايا:

١. أركان الجملة:

يقول: و الاسم كلمة تدل على معنى دلالة إشارة دون الإفادة، و الفعل كلمة تدل على معنى دلالة الإفادة دون الإشارة، وقيل الاسم كلمة تدل على معنى في نفسه مفرد من الزمان المختص، و الفعل يدل على معنى و زمان مختص، و الحرف ما كان معناه في غيره مما معناه فيه[2]. فأركان الجملة عنده هي الاسم و الفعل و الحرف و هذا ما أجمع عليه النحويون.

٢. علامة الإضمار:

يقول : و علامة الإضمار خمسة عشر علامة، للمخبر عن نفسه خمس علامات مرفوعتان متصلة و منفصلة، فالمرفوعة المتصلة قولك: قمت و قعدت فإن أخبرت عن نفسك و عن آخر أو آخرين قلت : قمنا و قعدنا، و المنفصلة: أنا و نحن ، و علامتان منصوبتان منفصلة و متصلة، فالمتصلة: أطاعني و أكرمني أعطانا و أكرمنا، والمنفصلة إياي و إيانا و مجرورة لا تنفصل كقولك: غلامي و صاحبي و غلامنا وصاحبنا و المخاطب له خمس علامات: كما تقدم فالمرفوعة المتصلة قمت و قعدت وقمتما و قعدتما و قمتم وقعدتم، و المنفصلة: أنت و أنتما و أنتم فالاسم الألف والنون و التاء للخطاب لا موضع لها من الإعراب، و المنصوبة المتصلة الكاف في : كلَّمتك و أكرمتك و كلمتكما و أكرمتكما

١ - الحوفي: نفسه ٢١/١ .
٢ - الحوفي: نفسه ٢/١ .

وكلمتكم و أكرمتكم، و إيَّا المنفصلة فإياك و إياكما و إياكم و أما المجرورة فغلامك وغلامكما و غلامكم و للغائب خمس علامات أيضا فعلامة المرفوعة المتصلة مستترة في الفعل في الواحد كقولك: زيد قام وقعد، فإن ثنيت ظهرت العلامة فقلت: الزيدان قاما وقعدا،و المنفصلة كقولك: هو وهما و هم، و أما المتصلة المنصوبة فالهاء في ضربته و ضربتها و ضربتهما و ضربتهم وضربتهن، و أما المنفصلة فإياه و إياهما و إياهم و إياها و إياهن وأما المجرورة: فغلامه و صاحبه و غلامهما و غلامهم و غلامهما و غلامهن و أصل الإضمار الستر لأنه خلاف الإظهار و إذا قدرت على المتصل لم تأتِ بالمنفصل ألا ترى انك تقول قمت و لا تقول قام أيها و تقول كلمتك و لا تقول كلمت إياك[1].

٣. الاسم المنقوص:

يقول: و الذي مبنية لأنه اسم ناقص لا يتم إلا بصلة و عائد، و يقال: ما الذي دعا إلى أن يكون الاسم منقوصا ثم تم بصلة الجواب الحاجة إلى أن يوصف المعرفة بمعنى الجملة بما تبعت النكرة و هذا في الذي و نظير، الذي من الأسماء النواقص وهي التي والألف واللام بمعنى الذي[2] و من و ما و أي و أنْ هي نواقص لا تتم إلا بصلة و الحاجة إلى الصلة في من الإخبار عن الجملة تقول: من أبوه منطلق أخوك و على ذلك قياس أن إلا انك تخبر في أن عن معنى المصدر و يثنى الذي فتقول اللذان بالتخفيف و التشديد، والتشديد عوض عن المحذوف و هو الياء و إنما حذفت الياء من الذي في التثنية لأنها ساكنة لاحظ لها في الحركة فلما جئت بألف التثنية و هي ساكنة و الياء ساكنة التقى الساكنان فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فأما تثنية قاضي فانك تقول قاضيان فتثبت الياء

١ - الحوفي: البرهان ١٦/١.
٢ - و الألف و اللام بمعنى الذي عليه شاهد ، يقول الشاعر :
ما أنت بالحكم التضي حكومته .....و لا الأصيل و لا ذي الرأي و الجدلِ
و هو بيت الفرزدق و الشاهد فيه: الترضي و معناه: لست أيها الرجل بالذي يرضاه الناس للفصل في أقضيتهم .
(شرح ابن عقيل ١٥٧/١)

وتحركها لأنها كانت في الأصل تستحق حركة فتحركها فلما احتجت إلى حَرَكتها حرَّكتها بالحركة التي كانت تستحقها و لم يكن الذي كذلك لأنها لا تستحق حركة من حيث هي مبنية و قاضي معرب تستحق حركة، و يقال لم بني في الواحد وإعراب في التثنية، الجواب: إن التثنية تخرجه عن شبه الحرف إذا كان الحرف لا يثنى فإنما بني لأن الجمع الذي ليس على حد التثنية كالواحد ألا ترى أن إعرابه كإعراب الواحد و البناء في الجمع و أقيس من لغة من أعرب(١). فقال في الجمع اللذون لأنه لما بني الواحد بني الجمع لشبهه بالواحد وقربه منه كما بني هذا و أولئك و الذي توصل بأربعة أشياء بالفعل و الفاعل و الابتداء والخبر و الظرف التام و حرف الشرط و جوابه(٢).

اشترط العلماء في جملة الصلة أن صلة الموصول لا تكون إلا جملة أو شبه جملة ونعني بشبه الجملة الظرف و الجار و المجرور و هذا في غير صلة الألف و اللام(٣).

و الحوفي في تعليله لا يتعصب لرأي أو لمذهب فمع أن الحوفي يُعَدُّ تلميذاً غير مباشر للنحاس إلا أنه يرجح قول الكسائي على قول النحاس و يعلل سبب الترجيح ففي قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا.... ﴾(٤)

يقول : يوما منصوب باتقوا و التقدير و اتقوا يوما لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا و قيل المحذوف هاء والتقدير: لا تجزيه نفس، وحذفت الهاء و هذا قول الكسائي ومنع الكسائي التقدير بحذف فيه، و قال لو جاز هذا لجاز الذي تكلمت زيد، يريد تكلمت فيه، و قال أبو جعفر النحاس الذي قاله الكسائي لا يلزم لأن الظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها، يقول الحوفي: و قول الكسائي جيد لأن اليوم ها هنا قد صار مفعولا و ليس

١ - و لغة من أعرب الشاهد عليه:
نحن اللذون صبَّحوا الصباحا .....يوم النخيل غارةً مِلْحَاحَا
و الشاهد فيه قوله: " اللذون" حيث جاء به الواو في حالة الرفع، كما لو كان جمع مذكراً سالماً " شرح ابن عقيل ١٤٤/١ – ١٤٥. "
٢- الحوفي: البرهان ٣٥/١.
٣ - ابن عقيل: شرح ألفية بن مالك ١٥٤/١ وابن هشام: مغني اللبيب ٤٠٩/٢.
٤ - سورة البقرة آية ٤٨.

بظرف و إضمار المفعول الهاء لأن المعنى: واتقوا عذاب يوم، ثم حذف عذاب و أقيم اليوم مقامه فهو مفعول لا ظرف و المفعول لا يقدر نفي و ينشد : و يوم شهدناه سليماً و عامرا فجعل اليوم مشهوداً، و إنما المعنى شهدنا فيه فتوسع فيه جميع الظروف يجوز أن يجعل مفعولات على السعة إلا مع الفعل الذي يتعدى على ثلاثة مفعولين فإنه إذا تعدى إليهما لم يحسن أن يتعدى إلى مفعول رابع فالكلام على قول الكسائي محمول على اللفظ لكونه مفعولا على السعة و عند غيره على المعنى لأنه ظرف و إن توسع فيه لأن اليوم لا يجزي وإنما يجزى فيه نفس عن نفس شيئا" جملة في موضع النعت ليوم(١).

و الحوفي إذا تعرض لأداة من الأدوات بيَّنها و بيَّن عملها و أوجه الإعراب فيها وهذه أمثلة من صنيع الحوفي بها :

٤. مـا (٢):

ففي قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾(٣) يقول:و ما:تكون على أحد عشر وجها دائرة كثيرا في الكلام ستة أسماء و خمسة حروف، فالأسماء الاستفهام في قولك ":ما أحسن زيد؟ أي أيُّ شيء أحسن منه ؟

و التعجب كقولك " ما أحسنَ زيداً" ، و الشرط كقولك " ما تصنع أصنع". فهي في هذه تامة لا تحتاج إلى صلة، و بمعنى الذي كقولك:" ما أكل خبزٌ" بمعنى الذي يأكل خبزٌ" كقوله تعالى ﴿ ....أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٤).

بمعنى الذي كانوا يعملون، و يكون بمعنى المصدر كقوله عز و جل:

---

١ - الحوفي: البرهان ١٥٨/١.

٢ - ما: قسمها ابن هشام إلى: اسمية و حرفية، و كل واحدة منهما ثلاثة أقسام : لقسم الأول أن تكون معرفة و تكون على ضربين: الأول : المعرفة الناقصة و هي الموصولة. الثاني: التامة و هي إما عامة و إما خاصة، القسم الثاني: أن تكون نكرة مجردة عن معنى الحرف، هي إما ناقصة أو تامة، فالناقصة هي الموصوفة، و التامة تقع في ثلاثة أبواب : التعجب و باب نعم و بئس، و في نحو قولهم: إن زيدا مما أن يكتب . القسم الثالث: أن تكون نكرة مضمنة معنى الحرف و هي نوعان : الاستفاهمية و الشرطية .

٣ - سورة البقرة آية ٤.

٤ - سورة التوبة آية ١٢١.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ (١).

بمعنى و بنائها، و تكون اسما نكرة موصوفة كقوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللهِ...﴾ (٢)

المعنى: فبشيء من رحمة الله فهذه الأسماء والحروف: تكون جحداً كقوله عز و جل ﴿...وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا... ﴾ (٣)، وكافة لأن عن عملها كقوله عز و جل :﴿...إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ... ﴾ (٤)

و مغيرة للحرف عن عمله كقوله تعالى﴿ .... لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ....﴾(٥) بمعنى هلا ، و هذه تسمى بالمسلطة سلطت على تغيير معنى لو ، وكذلك دخولها على إذا تجازي بها معها و قد تكون زائدة في قوله :" فبما رحمة من الله " كأنه " في قوله فبما رحمة من الله " كأنه فبرحمة من الله " و معناها التوكيد و كذلك كل حرف زائد في كتاب الله معناه التوكيد ،و سألت أبا محمد المدائني عن التوكيد و ما معناه و نحن نجد إسقاطه لا يحل بالحرف فقال هذه يعرف أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، و قال مثال، مثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعا فإذا تغيَّر البيت بزيادة أو نقصان أنكره، و قال أجد نفسي على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن لا تقدر بزيد على هذا فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها و يجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه فهذه وجوه ما و قد ذكر قوم وجوهاً أُخر تتداخل في هذه الوجوه المذكورة كقولهم أحسن إلى فلان ما أحسن إليك أي مدّة هذه ظرف بمعنى المصدر كأنك قلت: أحسن مدة إحسانه إليك و قالوا تكون بمعنى مَنْ كقول العرب:" سبحان مَنْ سبح الرعد بحمده" أي سبحان مَنْ سبح الرعد بحمده ، و هذه التي

١ - سورة الشمس آية ٥.
٢ - سورة آل عمران آية ١٥٩.
٣ - سورة يوسف آية ١٧.
٤ - سورة الرعد آية ٧.
٥ - سورة الحجر آية ٧.

بمعنى الذي، و قالوا تكون للعوض في قولك: " أما أنت منطلقا انطلقت معك " كأنه قال : "أن كنت منطلقا انطلقت معك" و هذه التي سلطت على حذف كنت[1].

و تقسيم الحوفي لـ " ما " تقسيم استوعب كل أقوال السابقين عليه و وافقه في ذلك كثير من اللاحقين، وقد ذكرا بن هشام أقسام ما و فرع فيها و بيَّن أن ابن خروف عدَّ ما المصدرية حرف باتفاق، يقول ابن هشام: و زعم ابن خروف أنّ " ما " المصدرية حرف باتفاق ورد عن من نقل فيها خلافا، و الصواب مع ناقل الخلاف[2].

فابن هشام يتفق مع الحوفي في أن " ما " المصدرية اسم وليست حرفا و إن كان ابن هشام نفسه قد جعل " ما " عوضا، في حين أن الحوفي لم يرتضِ ذلك و قال إنها التي سلطت على حذف كنت.

١. حالة بناء لا:

ففي قوله تعالى:"... لَا رَيْبَ فِيهِ ..." (سورة البقرة : من الآية ٢) يقول: لا ريب مبني مع لا، و لا تنبني مع النكرات كقولك : لا رجل ولا غلام، و إذا حيل بينها و بين ما تدخل عليه لم تعمل، وكذلك إذا دخلت على المعارف لم تعمل شيئا، و يبنى الاسم معها بناء خمسة عشر على الفتح و موضعه رفع فإن نعته جاز فيه ثلاثة أوجه:

البناء و النصب على اللفظ بشبهه بالمعرب و الرفع على الموضع تقول: لا رجل ظريف فتبنى ظرف مع رجل، ولك أن تقولك لا رجل ظريفاً، ولك أن تقول: لا رجلٌ ظريف " على موضع رجل[3].

و الحوفي هذا يوافق فيه سيبويه حيث يقول: لأنها جعلت و ما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر؛ وذلك لأنها لا تشبه سائر ما ينصب مما ليس باسم و هو الفعل

١ - الحوفي: البرهان ١/٤٠، ٤١.
٢ - ابن هشام: مغني اللبيب ١/٣٠٥.
٣ - الحوفي: البرهان ١/ ٤١.

و ما أجري مجراه، لأنها لا تعمل إلا في نكرة[١]، والحوفي بهذا القول واتفاقه مع سيبويه يحدد بأن المقصود من ذلك لا النافية.

٢.حيث :

في قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

يقول حيث ظرف مكان مبني و حَرَكْتُه لالتقاء الساكنين، وحُرِّك بالضم تشبيها بقبل وبعد لأنه مفتقر إلى الصلة من حيث هو مضاف إلى جملة فأشبه الذي في البناء لأنه يحتاج إلى بيان كما يحتاج الذي إلى الصلة وكأنه بعض الاسم و بعض الاسم لا يستحق إعرابا و أشبه قبل وبعد في الضم لأنه ظرف كما هو ظرفان و حذف منهما المضاف و جعلا غاية الاسم و لما لم يكن إضافة حيث في اللفظ أشبهت ما حذف ما أضيف إليه و منهم من يفتحها لخفة الفتحة مع نقل الياء و فيها أربع لغات:حيْث و حيَث و حوْث و حوَث و هذه منصوبة بتقربا[٣]. و قد ذكر ابن هشام أن الأخفش قد بيَّن أنها ترد للزمان يقول: و هي للمكان اتفاقا، قال الأخفش و قد ترد للزمان، والغالب كونها في محل نصب على الظرفية[٤] و هذا القول يتفق مع ما قال به الحوفي .

٣.إذا :

ففي قوله تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[٥]

١ - سيبويه: الكتاب ٢٧٤/٢.
٢ - سورة البقرة آية ٣٥.
٣ - الحوفي: البرهان ١٢٩/١.
٤ - ابن هشام: مغني اللبيب ١٣١/١.
٥ - سورة البقرة آية ١١.

يقول: إذا ظرف لما يستقبل و العامل فيه(... قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ)
و لا يجوز أن يعمل فيه لأنه مضاف إليه،و المضاف إليه لا يعمل في المضاف،و إذا فيها معنى المجازٰة من حيث تطلب الجواب،و هي كما يستقبل كحرف الشرط ولا يجازى بها إلا في الشعر إلا أن يكون معها " ما " فيجازي بها في الكلام و في الشعر و لا يليها إلا الفعل إذا كانت بهذا المعنى و هي ظرف زمان فإذا كانت للمفاجأة كانت ظرف مكان و تليها الأسماء كقولك : خرج فإذا زيد و إنما لم يجاوز بها لأنها لوقت معين تقول : آتيك إذا أحمر البسر " و الشرط مبهم فلم يستكمل معنى الشرط فلما لم يستكمل معنى الشرط من الإبهام لا تعمل، و لو كانت شرطا لعمل فيها الفعل الذي يليها، كما تعمل يشترط بها من الأسماء إذا قلت :" أيهم تضرب أضرب " فأي منصوب بتضرب،و لا يعمل في حرف الشرط والجواب: لأنه لو عمل فيه وجب تقديمه عليه و كأن الشرط يكون متوسطا و حكمه أن يكون متقدما، ولا يتقدم جواب الشرط عليه إلا أن يكون غير عامل في اللفظ أعني حرف الشرط فيكون الجواب مقدماً النية فيه التأخير و إذا كان عاملا و قدم لم يجز أن ينوي به التأخير لأن العامل حكمه أن يكون مقدماً و إنما وجب لحرف الشرط أن يكون مقدماً لأنه نقل الجملة من معنى الوجوب إلى معنى الشرط فتقدم للإيذان بهذا و كل حرف ينقل الجملة من معنى إلى معنى فله صدر الكلام(١) .

و قال الحوفي: و لا يجوز أن يعمل فيه لأنه مضاف إليه،و المضاف إليه لا يعمل في المضاف يقصد به " قيل " و يتفق معه في هذا العكبري يقول :" إن إذا في موضع نصب على الظرف و العامل فيها جوابها و هو قوله " قالوا" و قال قوم : العامل فيها " قيل وهو خطأ لأنه في موضع جر بإضافة إذا إليه لا يعمل في المضاف(٢) .

١ - الحوفي: البرهان ٥٦/١.
٢ - العكبري: إملاء ما من به الرحمن ١٠/١، ١١.

في حين أن ابن هشام يقول في ناصب إذا مذهبان ، أحدهما: أنه شرطها و هو قول المحققين فتكون بمنزلة متى و حيثما و أيان، وقول أبي البقاء إنه مردود بأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف غير وارد، لأن إذا عند هؤلاء غير مضافة. والثاني: انه ما في جوابها من فعل أو شبهه و هو قول الأكثرين ويرد عليهم أمور:

أحدهما: أن الشرط و الجزء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة و علة قولهم تصير الجملتان واحدة لأن الظرف عندهم من جملة الجواب، و المعمول داخل في جملة عاملة.

والثاني: ممتنع

والثالث: أن يعمل في ظرفين متضادين،و ذلك باطل عقلا[1].

إلى غير ذلك مما ذكره ابن هشام و أنهى الحوفي فيه القول بأن العامل في إذا جوابها

٤. كيف:

في قوله تعالى﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2].

يقول: كيف اسم يستفهم به هو سؤال عن حال بدليل الجواب لأنك تقول في الجواب مسروراً أو مغموماً. و بني لتضمنه حرف الاستفهام، و حرك لالتقاء الساكنين وفتح لخفة الفتحة مع ثقل الياء و هو في موضع نصب بتكفرون و لا يجوز تأخيرها بعد تكفرون لما فيها من معنى الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام لأنه ينقل الجملة من معنى الخبر إلى معنى الاستخبار فجعل له ابتداء الكلام للإيذان بهذا المعنى، و الدليل على أنها اسم أنها يتألف منها مع الاسم كلام تام تقول :" كيف زيد "،و لا يتألف مع الحرف

١ - ابن هشام : مغني اللبيب ٩٦/١.
٢ - سورة البقرة آية ٢٨.

فدَّل على أنها ليست بحرف و يدل على أنها ليست بفعل أنها تدل على حدث و لا تصرف و لا تحمل الضمير كالفعل وإذا خرجت من الفعل و الحرف دلَّ على أنها اسم. و الذي يستفهم به من الأسماء تسعة: كيف، وما، و من، و أي، و أين، و متى، و أَنَّى و أيّان ، و كم فهذه يستفهم بها عن طريق التسمية بالألف أصل في الاستفهام، و كيف في هذا الموضع معناها التعجب(١).

و الحوفي يبيِّن الشروط التي يجب توافرها في كيف. ثم يدلل على أن كيف اسم وليست بفعل أو حرف و يتفق مع الحوفي في هذا ابن هشام يقول: و هو اسم لدخول الجار عليه بلا تأويل في قولهم: " على كيف تبيع الأحمرين "(٢)، ولا إبدال الاسم الصريح منه نحو: " كيف أنت ؟ أصحيح أم سقيم ؟" و للإخبار به مع مباشرته الفعل في نحو كيف كنت؟ فالإخبار بِهِ انتفت الحرفية و بمباشرة الفعل انتفت الفعلية(٣).

و الحوفي يفرِّق بين حروف الجر في بيان المعنى، ففي قوله تعالى(... وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ...)(سورة البقرة : من الآية ١٤)، يقول فإن قال قائل: أرأيت قوله عز وجل (... وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ...)لم قال إلى شياطينهم و لم يقل بشياطينهم إذ كان الجاري بين الناس أن يقول بعضهم لبعض " خلوت بفلان" و لا تقولن " خلوت إلى فلان ". فالجواب عن ذلك أن يقال " خلوت إلى فلان " إذا أردت خلوت إليه في حاجة خاصة لا تحتمل إلا الخلاء إليه في قضاء الحاجة، فأما إذا قيل " خلوت به " احتمل معنيين، أحدهما الخلاء بالحاجة والآخر: في السخرية به، فعلى هذا القول و إذا خلوا إلى شياطينهم أفصح من خلوا بشياطينهم لما في الباء من إلباس المعنى و فيه جواب ثان: و هو أن يكون بمعنى

١ - الحوفي: البرهان ١٠٦/١ – ١٠٧.
٢ - الأحمرين : الخمر و اللحم : ابن هشام: مغني اللبيب ٢٠٥/١.
٣ - ابن هشام: معني اللبيب ٢٠٥/١.

مع " إذ كانت حروف الجر تعاقب بعضها بعضا . وقول ثالث حكاه بعض الكوفيين قال معنى ذلك إذا صرفوا أخلاهم إلى شياطينهم أن الجانب لإلى المعنى الذي دل عليه الكلام(١)

و هو بهذا المنهج عالج المسائل النحوية من خلال آيات القرآن، فلقد جاءت معالجته حسب سياق النص القرآني، إذ لم يترك مسألة من مسائل النحو إلا و أدلى فيها بدلوه، فتراه تارة مؤيداً للمذهب البصري و أخرى مؤيداً للمذهب الكوفي، و تارة جامعا بين المذهبين و على ذلك فالمسائل التي عالجها من خلال إعرابه للنص القرآني جاءت مشتملة على مسائل يصعب على باحث أن يكشف عنها كاملة من خلال بيانه لمنهجه في التفسير فالأحرى أن يتصدى لهذا الجانب مجموعة من الباحثين لكشف الجوانب المتعددة التي عالجها الحوفي و التي قد تغني طلاب العلم عن كثير من الكتب التي عالجت تلك المسائل وزُدت أمور النحو تعقيداً .

١ - الحوفي: البرهان ٦١/١.